الفصل الثالث

دخول الإسلام ونشأة الطرق الصوفية في السودان وتطور دورها السياسي

المبحث الاول: انتشار الإسلام والطرق الصوفية في السودان

المطلب الاول: أثر الطرق الصوفية على انتشار الدين الإسلامي

المطلب الثاني: الجذور التاريخية لنشأة الطرق الصوفية في السودان

المبحث الثاني: الطرق الصوفية في السودان وتطور دورها السياسي

المطلب الأول: الطرق الصوفية في شرق ووسط السودان

المطلب الثاني: الطرق الصوفية في شمال وغرب السودان

المطلب الثالث: الطرق الصوفية والعمل السياسي بين المؤيد والمعارض

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الفصل الثالث

دخول الإسلام ونشأة الطرق الصوفية في السودان وتطور دورها السياسي

تمهيد:

بلغ انتشار الطرق الصوفية في السودان مستوى أضحت فيه جزءاً من النسيج الاجتماعي، حيث يقارب عددها المائة بيت صوفي منتشر في جميع مناطق وقرى وولايات السودان. ويتتبع الفصل بدايات دخول الإسلام إلى السودان ودور الطرق الصوفية في ذلك، ثم نشأة الطرق الصوفية الرئيسية ذات التأثير الملحوظ في الشأن الاجتماعي والسياسي في الوسط الشعبي السوداني، من حيث تأثيرها في الحياة الدينية والاجتماعية، وأبرز مناطق تواجدها في السودان. بالإضافة إلى تطورها السياسي. وأخيراً ممارسة الطرق الصوفية للعمل السياسي ومدى تقبل أو رفض الوسط الديني والسياسي لذلك.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الاول: دخول الإسلام والطرق الصوفية إلى السودان

المطلب الاول: أثر الطرق الصوفية في دخول الدين الإسلامي.

تشير الروايات السكانية في السودان أن القبائل الزنجية والنوبية هما من أوائل القبائل التي استوطنت بلاد السودان بشكله الحالي، ولحقت بهم القبائل العربية قبل مجيئ الإسلام إلى السودان بزمن بعيد، والذين جاءوا عبر هجرات متتالية من الحجاز ومصر ومن الشمال الإفريقي، وزادت هذه الهجرات العربية بعد ظهور الإسلام بقصد نشر الدين الإسلامي، حيث كانت المسيحية هي الديانة السائدة في السودان بجانب بعض الأديان الوثنية. وقد انصهر العرب مع السكان الأصليين عن طريق الزواج، وقاموا بنشر الثقافة الإسلامية والعربية، وعلى إثرها اختلط الدم العربي بالزنجي والنوبي، حتى ساد الإسلام السودان الشمالي بأسره، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر تقريبا، ومنذ ذلك الحين بدأت معالم الإسلام تظهر في تكوين الشخصية السودانية.

وعند مولد الرسول محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة والتسليم، في سنة 571ميلادية، كانت هنالك ثلاث ممالك مسيحية تحكم السودان، ويمتد نطاقها الجغرافي ونفوذها السياسي من الشلال الأول حتى منطقة سنار على ضفاف النيل الأزرق ففي الشمال توجد مملكة المريس أو نوباديا وعاصمتها فرص، ودولة المقرة وحاضرتها دنقلا (العجوز)، أما المملكة الثالثة فهي علوة وعاصمتها سوبا. وكانت مجموعات من النوبة والبجة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يقطنون الجزء الشمالي من البلاد، بينما غلب على الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية خليط من الشعوب الحامية والزنجية، ومع أن مجموعات من العرب قد هاجرت إلى الأجزاء الشمالية الشرقية من السودان قبل ظهور الإسلام، إلا أنها لم تترك أثراً ملموساً على التكوين البشرى لسكان تلك المناطق[1].

ويحتل السودان بمعالمه الجغرافية الحالية مركزاً استراتيجيا مهما في قلب إفريقيا، ويمثل نموذجا مصغرا للقارة الإفريقية فهو يحتوي على خليط من الثقافات العربية والزنجية ومزيجاً من الحضارات القديمة، وكان معبرا لها من الشمال إلى الجنوب أو من الغرب إلى الشرق، وللعديد من المكونات البشرية ذات الأديان والتقاليد المتداخلة والتي استقرت في وضعها الحالي في ما يربو على الخمسين مجموعة عرقية، التي انحدرت منها أكثر من ستمائة قبيلة تتحدث حوالي مائة لغة ولهجة.

وتعتبر بلاد السودان من الأماكن التي فتحتها الجيوش الإسلامية بدون قتال، فأول بذرة لنشر الإسلام في السودان جاءت عندما توغلت مجموعة من الجنود المسلمين بقيادة عقبة بن نافع في سنة 641م ووقع صدام بينه وبين النوبة الشمالية وعقد معهم اتفاقاً. وفي خلافة عبدالله بن أبي السرح نقض النوبيون العهد، وفى سنة 652م حاصر مناطقهم وضيق عليهم حتى طلب الملك قليدوروت الصلح، وعرف فيما بعد بمعاهدة "البقط". وكانت أبرز نقاطها

1 - يوسف فضل حسن. 1989م. دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب: (الخرطوم). مطبعة جامعة الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ص 11.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ألا يحارب المسلمون أهل النوبة، وأن يدخل النوبة بلاد المسلمين مجتازين غير مقيمين فيها، وعلى النوبة حفظ من نزل بلادهم من المسلمين أو المعاهدين حتى يخرج منها[1].

وبموجب هذه المعاهدة تدفقت القبائل العربية من جهة جهينة من جنوب مصر ونشرت الثقافة العربية والإسلامية، إلا أنها شابها الجهل بأحكام الدين وتفاصيل الشريعة واستمرار العمل بالعلاقات الإفريقية الوثنية رغم اعتناقهم للإسلام، حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس أمور الدين والذي يعتبر طليعة التصوف ويمثل مرحلة من مراحل التصوف في السودان.

إضافة إلى ذلك، وحسبما أشار يوسف فضل، فإنه بالرغم من تغلب الإسلام على المسيحية في هذه المنطقة، فقد ظلا يعيشان جنباً إلى جنب ردحاً من الزمن، حتى عم الإسلام المنطقة بأسرها طواعية، إذ أن نشر الإسلام لم يصحبه في الأغلب عنف من جانب المسلمين، فهم لم يفرضوا دينهم على المجموعات التي تحكموا بها بل تم التحول سلمياً، غير أنَّ انتشار الدعوة الإسلامية قبل قيام الممالك الإسلامية كان اسمياً في كثير من مظاهره[2].

ونتيجة لاختلاط النسب بين الأجناس التي سكنت السودان عبر مرحلة من الزمن، بالإضافة إلى حركة التجارة التي نشطت بين العرب وشعوب السودان، تحددت معالم القبائل

1 – مكي شبيكه. 1411هـ 1991م. السودان عبر القرون: (بيروت – لبنان). دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع. ص 30.

2 – يوسف فضل حسن. 1425هـ 2004م. الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان: (الخرطوم – السودان). دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي. الطبعة الثانية. ص 24.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الجغرافية والاجتماعية، وسادت الثقافة العربية والإسلامية، الأمر الذي أدى إلى إنشاء حكومة مركزية قوية في أعقاب انهيار دولة المقرة وانقسامها إلى إمارات، وحتى دولة الفونج، حيث النزاعات الاستقلالية والتمرد على السلطة المركزية والوقائع المستمرة بين القبائل، كل ذلك أدى في نهاية الأمر إلى سيادة الطابع الصوفي وظهور شيخ الطريقة الذي أصبح له العديد من الأتباع والمريدين ينظرون إليه بعين التقدير والإعجاب والقداسة[1].

وبعد دخول الطرق الصوفية في السودان من شتى أنحاء العالم الإسلامي، بدأ الطابع الإسلامي يسود أنحاء واسعة منه، واكتسب أغلب أهل السودان حينها للطرق الصوفية، وذلك، كما يرجح البوني، يعود إلى "أن الفكر الديني في السودان قد تطور بدخول المسيحية، كديانة توحيدية، ولكن اختلاطها بالوثنية قد اظهر فيها الوسيط بين العبد والرب المتمثل في الكاهن، كما أن تطور الفكر الإسلامي انتهى إلى الصوفية التي ظهر فيها هي الأخرى الوسيط المتمثل في الشيخ أو الولي، فأصبح إحلال الولي مكان الكاهن أمراً سهلاً، وأن الصوفية لا تأبه كثيرا لمسألة الفقه الظاهر، وكانت لها قابلية للامتزاج والتفاعل مع أي ثقافة أخرى دون إخضاعها للمقاييس الظاهرية"[2].

وظل انتشار الدين الإسلامي في السودان وتعليم الفقه بشكل ذاتي على يد مشايخ الطرق الصوفية، كما أن التحول من المسيحية والمعتقدات الإفريقية إلى الإسلام اتسم بالبطء

---

1 – مكي شبيكه. مرجع سابق. ص 92.

2 – عبداللطيف محمد البوني. يناير 1989م. العلاقة بين الدين والسياسة في السودان إشارة خاصة لمحاولة كتابة الدستور الإسلامي 1957م– 1984م. رسالة دكتوراه. جامعة الخرطوم كلية الدراسات الاقتصادية الاجتماعية شعبة العلوم السياسية. ص 20.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الشديد، وتسللت بعض الخرافات إلى الشريعة الإسلامية نتيجة لقلة المعرفة بالعقيدة الإسلامية بين الناس، حيث اختلطت قواعد الشريعة الإسلامية ببعض قواعد العادات والتقاليد القبلية التي كانت سائدة على النهج المسيحي، حتى قيام مملكة الفونج[1] سنة 1504م، فحدث نوع من الاستقرار السياسي في السودان، وانتشرت العقيدة الإسلامية وبدأ تدريس الفقه والعبادات إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، نتيجة لتوافد عدد من العلماء والمتصوفة إلى السودان، وعودة السودانيين الذين تعلموا في مصر والحجاز.

واستطاعت الطرق الصوفية أن تنتشر بين الوسط الشعبي بشكل متزايد وملحوظ وخاصة في زمن دولة الفونج، حيث اهتموا بتحفيظ القرآن الكريم وفتح الزوايا ودراسة علوم القرآن ومبادئ النحو والصرف وعلوم العربية، وأهم الطرق الصوفية البارزة التي كان لها الفضل في نشر الإسلام وتعميقه الطريقة الشاذلية والسمانية والقادرية والختمية، وغيرها من الطرق الصوفية، هذا فضلاً عن أن أغلب السودانيين انخرطوا في سلك المريدين من أتباع الطرق الصوفية، بينما فضل القليل منهم الدراسات الفقهية. ونتج عن ذلك أن نهلت الأغلبية من تعاليم رجال الطرق الصوفية، إذ إن كثيراً من العلماء والمثقفين جمعوا بين المنهجين الفقهي والصوفي، مما شكل النواة الأولى للخصائص المميزة للثقافة الدينية في السودان. وبذلك

---

1 - مملكة الفونج (1504م-1821م) وتسمى أيضا مملكة سنار والسلطنة الزرقاء، وعاصمتها سنار وتمتد من الشلال الثالث حتى حدود إثيوبيا جنوبا، ومن الصحراء الشرقية حتى كردفان غربا. وتتألف مملكة الفونج من عدة سلطنات ومشيخات، خضع بعضها للفونج مباشرة وهي: مشيخة خشم البحر، مملكة فازغلي، مشيخة الحمدة، مملكة بني عامر، مملكة الحلنقة، وخضع لها البعض الآخر بواسطة العبدلاب وهي: مشيخة الشنابلة والمناصير، وممالك الجموعية والجعليين والميرفاب والرباطاب والشايقية والدفار ودنقلا العجوز والخندق وأرقو. د. محمد سعيد القدال. 2002م. تاريخ السودان الحديث 1920م – 1955م: (الخرطوم-السودان). دار مصحف إفريقيا للطباعة والنشر. ص 18.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

احتكرت الطرق الصوفية انتشار الإسلام في السودان، وذلك بعد أن انتصرت في صراعها مع أهل السنة في القرن الثاني عشر الميلادي، "وبعد أن كان التصوف مقصد الصفوة من المسلمين، صار مقصداً للجميع فانتشرت الطرق الصوفية حتى عمت كل أرجاء العالم وقوى سلطانها على الخاصة والعامة"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أهل السودان قد عرفوا التصوف منذ عهود، أي أن النزعة الروحية والزهدية الدينية متأصلة لدى الكثير من السودانيين، فلذلك لم يكن التصوف ظاهرة جديدة أو غريبة على المجتمع السوداني. فالتصوف بمعنى الزهد والتعلق الدائم بالمعبود يعود إلى المعتقدات الوثنية التي كانت سائدة قبل الإسلام. وعامل آخر مهم في هذا الصدد، وهو أن الطرق الصوفية بذلت جهودا مقدرة في انتشار الإسلام وترسيخ تعاليمه في المجتمع السوداني. وأغلب المتصوفة الذين وفدوا لهذا البلد كانوا إما تجاراً أو دعاة أو فارين بدينهم، خاصة في أيام الدولة الفاطمية في مصر، لذا كان من الطبيعي التفاف السودانيين حول مشايخ الطرق الصوفية فهي امتداد طبيعي لنزعتهم الروحية المتجذرة فيهم منذ أمد بعيد[2].

لقد لعبت الطرق الصوفية دورا مميزا في نشر الدين الإسلامي في المناطق التي لم يصلها الإسلام في السودان خاصة وإفريقيا عامة، والأهم من ذلك هو ترسيخ أفكار العقيدة الإسلامية في المناطق التي انتشر فيها الإسلام في السودان، حيث وجدت الكثير من الشعوب

---

1 – يوسف فضل حسن. الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان. مرجع *سابق*. ص 26.

2 – أحمد بابكر محمد بابكر. شوال 1410 هـ مايو 1990م. الطريقة السمانية في السودان ودورها في نشر وإثراء اللغة العربية. رسالة ماجستير: (الخرطوم – السودان). معهد الخرطوم الدولي للغة العربية. ص 6.

التى استوطنت السودان واعتنقت الإسلام، إلا أنها بقيت على العادات والتقاليد المسيحية، وذلك لقلة العلماء والفقهاء وعلى رأسهم المتصوفة ومن يعلم الناس أمور الدين وممارسة الشعائر الإسلامية. وفي سبيل ذلك اختار الصوفية أساليب دعوية بسيطة مع التدرج في نشر الدعوة الإسلامية.

ولقد لعبت الطرق الصوفية دوراً أساسياً في نشأة بعض المدن والقرى في السودان، وذلك بسبب توافد الناس على المساجد والأضرحة التي شيدها الشيوخ، طلباً للعلم أو سلك طريق التصوف. من جانب آخر فإن مناطق التصوف كانت بمثابة ملاذات آمنة، يأوى إليها كل من خائف وطالب للأمان، إذ أن اللصوص ومحترفي الإجرام كانوا يخافون من الاعتداء على من يحتمي بالأولياء. ومن العوامل التي ساعدت أيضاً في نشأة المدن ازدهار النشاط التجاري، الأمر الذي أسهم في وفود العلماء للسودان، مما زاد في انتشار العقيدة الإسلامية بصورة أعمق وأشمل[1].

فالطرق الصوفية غيرت، بشكل جذري، المجتمع السوداني في الجوانب الدينية والاجتماعية وغيرها، حيث أدخلت الأفكار الدينية التي لم تكن معروفة لدى عامة الناس كأمور العبادة والتنسك والزهد والانقطاع عن الدنيا، إضافة إلى ذلك ومن العوامل التي ساعدت على تجذر التصوف في السودان، هو أن أوائل الصوفيين الذين وفدوا إلى السودان استطاعوا، من خلال الكرامات التي حدثت لهم، أن يحتلوا مكانة خاصة لدى السودانيين، ثم

1 – عبداللطيف محمد البوني. مرجع سابق. ص 21.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

إن من خلفهم من السودانيين سار على نهجهم في التعبد والزهد، مما أكسبهم النفوذ وسط المواطنين، بالإضافة إلى أنهم صاروا مستشارين لدى أمراء وسلاطين الفونج، الذين كانوا يستشيرونهم في أمور الدولة الإدارية والسياسية. وقد كانت قيادات الطرق الصوفية تعبر عن آراء عامة الناس لدى الحكام.

وفي رأي زعيم طائفة الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي السيد الصادق المهدي: أن الطرق الصوفية كان لها الفضل والدور الكبير في دخول الإسلام المعتدل والمبسط الذي يستطيع أن يفهمه ويستوعبه أي سوداني، حيث أن الثقافة العربية كانت ضعيفة جداً قبل مجيئ المتصوفة، كما أن السودان كان يعيش حالة صراع بين الأديان من مسيحية ووثنية، فاستطاعت الصوفية فتح المراكز لتحفيظ القرآن الكريم والزوايا لتعليم الفقه والعبادات. ويمكن القول إنها بذلك أنهت المسيحية في شمال السودان، ونتيجة لاستيعاب السودانيين للتصوف والميول الدينية المتأصلة فيهم فقد انتشر التصوف بينهم حتى صار أغلب أهل السودان من المتصوفة. وهذا الأمر مكن الطرق الصوفية أن تسهم بنصيب أكبر في تكوين الشخصية الإسلامية للسودان. فانتشار الإسلام قبل دخول التصوف للسودان كان محدوداً، كما أن العادات والتقاليد المسيحية كانت تمارس بين عامة الناس حتى مجيئ الصوفية الذين استطاعوا بسط الدين الإسلامي في شمال السودان وبعض أطراف الجنوب، رغم ما وجدوه من صعوبات للوصول إلى ولايات الجنوب نتيجة للطبيعة الجغرافية التي تتمثل في الغابات والأمطار الغزيرة، وفتحوا مراكز تعليم القرآن الكريم وتعليم الفقه. وقد ساعد ذلك الدولة

المهدية في إرساء دعائم الدين الإسلامي، والتي لم يقتصر دورها على مناطق الشمال فقط، وإنما قام الامام محمد احمد المهدي بالاتصال بالجنوبيين ووثق علاقة قوية معهم واعتبر السودان قطراً واحداً تسوده الشريعة الإسلامية، وفي عهده اعتنق الكثير من أبناء الجنوب الدين الإسلامي لما لقوه من رعاية واحترام من دولة المهدي الاسلامية رغم إغراء حملات التنصير[1].

الباحث بجانب السيد الصادق المهدي رئيس حزب الأمة وزعيم طائفة الأنصار (شكل رقم1)

وفي مقابلة مع البروفيسور مصطفى عبده محمد، أستاذ الجماليات (الفلسفة) بجامعة النيلين، ذكر أنه من الصعب فصل الطرق الصوفية عن هوية المجتمع السوداني، فهي التي

1 – مقابلة مع السيد الصادق المهدي رئيس حزب الامة القومي وإمام شئون الانصار. بمنزله الكائن بام درمان، يوم الثلاثاء الموافق 27 يوليو 2010م، على تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً، حيث استمر اللقاء زهاء الساعة والنصف وتحدث مستفيضاً عن الموضوع. فجزاه الله خيراً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

شكلت هويته الإسلامية الموجودة في وقتنا الراهن، الدين الممنهج بالمنهج الصوفي البسيط بعيداً عن الغلو والتشدد، فمشايخ الصوفية هم الذين نشروا الدين الإسلامي وفتحوا الخلاوي ومراكز تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفقه في جميع أنحاء السودان، والتي تخرج منها الآلاف وأصبحوا قادة البلد سياسياً ودينياً، كما أسلم على أيديهم أعداد كبيرة من المسيحيين المستوطنين في السودان، فانعكس النهج الصوفي على حياتهم العملية، إضافة إلى أن السودان من الدول التي لا توجد فيها حركات إسلامية تنادي بالتشدد كما هو موجود في كثير من الدول العربية والإسلامية، كما أن تزايد عدد الشباب المنضمين للطرق الصوفية لدليل على مدى حسن المنهج الصوفي وبساطته، كما أن اتباع مشايخ الصوفية أسلوب الحوار الاجتماعي ومشاركتهم عامة الناس أفراحهم وأحزانهم زاد من تعلقهم بهم، إلى جانب ذلك تضم الصوفية في صفوف مريديها كثيراً من العلماء والباحثين والأطباء والمهندسين والمثقفين وأعضاء هيئة التدريس في الجامعات، والمؤلفين والإعلاميين وغيرهم من قطاعات الشعب السوداني[1].

إضافة لما سبق ذكره فلقد لعبت الطرق الصوفية، بمختلف طوائفها في السودان، دوراً بارزاً في توحيد المجتمع السوداني بعد النزاعات القبلية التي كانت سائدة قبل دخول الطرق الصوفية للسودان، الأمر الذي أشاع روح الإلفة والمودة بين القبائل المختلفة من خلال تعاليم الصوفية، كما أن الخلاوي والمساجد كانت بمثابة البوتقة التي انصهر فيها أبناء السودان من

1 – مقابلة مع البروفيسور مصطفى عبده محمد. أستاذ الجماليات (الفلسفة) بكلية الآداب بجامعة النيلين يوم الخميس الموافق 22 يوليو 2010م. في تمام الساعة الثانية عشرة وعشرة دقائق ظهراً. بمكتبه بالجامعة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

مختلف القبائل والمناطق الجغرافية، هذا بالإضافة إلى الأثر الصوفي الواضح في الحياة العامة وفي أخلاق الأمة، فكان مشايخ الطرق الصوفية يبايعون الناس على التوحيد واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي، وطاعة الله ورسوله ويحذرون من الفحشاء والمنكر والأخلاق السيئة[1].

فدخول الإسلام وترسيخ أفكاره ومعالمه في السودان كان على أيدي مشايخ الطرق الصوفية، والذي برزت ملامحه في تكوين الشخصية السودانية الإسلامية، فالمؤسسة الصوفية أسهمت بشكل كبير في ظهور السودان الإسلامي الذي هو عليه الآن، حتى أن نشأة بعض المدن والقرى في السودان كانت الطرق الصوفية سبباً رئيسياً فيها. فمثلاً، خلوة "أرباب العقائد" كانت سبباً في نشأة مدينتي أم درمان والخرطوم، ومدينة ود مدنى سميت على اسم الشيخ مدنى السنى، ومدينة ودبانقا على اسم الشيخ عبدالمحمود، فالصوفي أول من يسكن المدينة أو القرية، وفوراً يشرع في فتح مدرسة ومسجد ويقدم خدمات اجتماعية واقتصادية، حتى أن الحكام لا يستطيعون دخول القرية أو المدينة إلا بعد أن يأذن الشيخ لأنه المسئول الأول في القرية.

وقد كان خريجو الأزهر ممن درسوا الفقه والعبادات والتوحيد في مصر قليلي الانتشار بين عامة الناس، بينما كانت الطرق الصوفية ذات انتشار واسع ومؤثر في الوسط الشعبي

1 – رابعة على عثمان. 1996م. تاريخ الطريقة السمانية وانتشارها في السودان في الفترة من 1766م – 1898م. رسالة ماجستير في التاريخ: (الخرطوم – السودان). جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا. ص 92.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

السوداني لما يتحلون به من المرونة وبساطة، هذا فضلاً عن مخالطة مشايخ الصوفية للعامة في حياتهم اليومية.

المطلب الثاني: الجذور التاريخية لدخول الطرق الصوفية في السودان

اختلفت آراء الباحثين والمهتمين والمختصين والمؤرخين في تحديد زمن أو مرحلة معينة لدخول المتصوفة للسودان، فهناك من يرى أن الطرق الصوفية دخلت السودان في عهد دولة الفونج عام 1405م التي مثلت الدولة الإسلامية الرسمية الأولى في السودان، حيث أقام قادة الفونج علاقات وصلات وطيدة مع قيادات دينية وثقافية في بعض الدول الإسلامية كمصر والمغرب والعراق والحجاز، وعلى أثرها دخل السودان الكثير من مشايخ الصوفية بمختلف طوائفهم ولأسباب مختلفة، فقاموا بتدريس القرآن الكريم والفقه، وانتشر علم التوحيد والتجويد ونشروا أفكار الصوفية، التي لقيت أرضا خصبة في السودان الذى كان يعج بالمسيحية أنذاك، مما ساعد على ازدهار بذرة التصوف بشكل سريع، وخاصة الإقليم الأوسط للسودان الواقع تحت سيطرة الفونج، وفسح المجال أمام رجال الطرق الصوفية للتغلغل في المجتمع السوداني، ونتيجة للتأثير الديني والأفكار الصوفية التي يحملونها استطاعوا أن يحتلوا مكانة رفيعة لدى الحكام، وصاروا من أهل الحل والعقد في بعض القضايا والأمور التي تخص الدولة.

كما تشير رواية أخرى إلى أن دخول الطرق الصوفية للسودان سابق لعهد دولة الفونج الإسلامية، حيث لم يعرف في تلك الفترة تشعب العباد والزهاد في طرق مستقلة عن بعضهم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كما جرى لاحقاً، بل كانت حركة صوفية عامرة يتولى القيادة الروحية العلمية فيها مجموعة من الدعاة والزهاد الذين يشغلون أنفسهم بالعبادة والدعوة الى الله. إذ إن هنالك الكثير من العرب المهاجرين للسودان ممن ينتمون إلى طرق صوفية مثل الشاذلية وغيرها. وقد كان معظم هؤلاء من الذين اضطرتهم الظروف السياسية إلى الفرار بحياتهم ودينهم، وجاءوا إلى السودان من الحجاز والعراق والشام ومصر وشمال إفريقيا بالذات عندما آلت كلها إلى حكم الفاطميين الشيعة. فبذلك كان السودان مجالاً رحباً لما يعرف اليوم باللجوء السياسي، الأمر الذي ساعد على إرساء قواعد الصوفية الوافدة بكل إمكانياتها وجراحاتها وآمالها في السودان[1].

فالمتفق عليه عند الكثيرين من الاختصاصيين في التصوف أن الروح الدينية المتمثلة في الزهد والعبادة متأصلة عند الشعوب التي استوطنت السودان قبل قيام دولة الفونج الإسلامية، وعندما دخل الإسلام إليها عن طريق العلماء والدعاة والفقهاء ومشايخ الصوفية، التمسوا هذه البذرة الدينية فظلوا ينشروا العقيدة الإسلامية في أقاليم السودان بدون صعاب، لكن أهل السودان ظلوا يميلون إلى الاسلام الصوفي لما وجدوا فيه من بساطة، حتى فسح ذلك مجالا لسيطرة مشايخ الصوفية على الحياة الإسلامية، ووصلو تغلغلهم في الوسط الشعبي، مع تزايد دخول مشايخ الصوفية لنشر الدين الإسلامي إلى جانب أورادهم الصوفية التي أتوا بها، وبدأ كل شيخ يبحث على موطئ قدم في عدد من أقاليم السودان واستوطن فيها، لكن ليس

1 – عبدالقادر محمود. 1968م – 1969م. الفكر الصوفي في السودان مصادره وتياراته وألوانه: (الخرطوم – السودان). دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ص 50.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بالشكل المنظم بل ظلوا مجموعة من الأفراد يجوبون البلاد لتدريس الناس القرآن الكريم والعبادات، فلما تكونت دولة الفونج اهتمت قياداتها بنشر الدين الإسلامي وترسيخ افكاره، ووفرت المناخ المناسب للقيادات الصوفية، وخلق نوع من التعاون الديني مع بعض الدول العربية كمصر والحجاز ودخل على إثرها عدد هائل من الفقهاء والمشايخ، فبرزت طائفة من العلماء والمشايخ لم تكن معروفة من قبل أمسكوا زمام الأمور إلى جانب حكام دولة الفونج، وشهدت تلك الفترة المهمة بناء المساجد والخلاوي ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، كما انتشرت الأوراد الصوفية بمختلف طوائفها، وأصبحتْ معروفة عند كثير من السودانيين وظهرت شخصيات صوفية بارزة وبدأت تؤسس للطرق الصوفية في كثير من مناطق السودان، وهذا يعتبر بداية النواة لتكوين الطرق الصوفية بشكلها المنظم، كما ارتبطت ظهور الطرق الصوفية على يد الشيخ تاج الدين البهاري الذي وفد إلى السودان عام 1577م بعد خمسين سنة من قيام دولة سلطنة الفونج الإسلامية، فيشار إلى أن الشاذلية هي أولى الطرق الصوفية، أثناء قدوم الشيخ حمد أبو دنانة صهر عبدالله بن محمد بن سليمان مؤسس الطريقة الشاذلية بالمغرب الأقصى في القرن الخامس عشر.

وبقيام دولة الفونج الاسلامية ولد نوع من الاستقرار مهد لنشر الدين الإسلامي بطريقة أعمق وأشمل مما كان عليه الحال من قبل، وتمكن بعض السودانيين من الهجرة إلى مصر والحجاز طلبا للعلم، كما أن عدداً من العلماء والمتصوفة وفدوا للبلاد بتشجيع من ملوك السودان وزعمائه، واهتم هؤلاء العلماء بتدريس الدين على أسس صحيحة، وكان لكل من

هؤلاء الرواد من رجال الدين أثره تبعاً للمنطقة التي قدم منها، فالقادمون من مصر كان جلهم من الفقهاء، أما الوافدون من الحجاز فقد غلب عليهم الأثر الصوفي، بينما ساهم التيار المغربي، وهو آخرها، في إثراء كل من الطابع الفقهي والصوفي[1].

وبناء على ما سبق، فقد وجدت الطرق الصوفية مناخاً ساعد على انتشار الصوفية وتغلغلها بين الناس، وظل نفوذ المشايخ والأولياء ذا تأثير كبير في الحياة العامة، وامتد تأثيرهم وقوة نفوذهم إلى الحكام، وكان قيادات الصوفية يسهمون في تقوية النسيج الاجتماعي من الإصلاح بين الناس بالمعروف، زيادة على ذلك يفتونهم في امور دينهم. وقد تجاوز التأثير الصوفي الجوانب الروحية إلى النفوذ الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، إضافة إلى أن الشيوخ كانوا لا يشكلون خطراً على الحكام، لأنهم لا يتطلعون للسلطة بحكم الزهد الذي يطبع حياتهم. وتبعاً لذلك أزدهر النشاط الصوفي، ولم يعد نشاط روحيا بحتا، وانخرط معظم السودانيين في تلك الطرق الصوفية، فأصبحت بذلك متنفذة في الحياة العامة[2].

لقد دخلت الطرق الصوفية السودان عبر مراحل متتالية، من خلال الأفراد من الزهاد والعباد وحفظة القرآن الكريم، وليس من خلال الهجرة الجماعية كما في بعض البلاد الإسلامية. ومما زاد من قوة التأثير الصوفي في السودان إرسال البعثات الطلابية إلى الأزهر الشريف، حيث أسهموا بعد إكمال دراستهم في نشر العلوم الإسلامية المختلفة. وقد نزل

1- يوسف فضل حسن. الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان. مرجع سابق. ص 21.

2 - عبداللطيف محمد البوني. مرجع سابق. ص 28.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

على أرض السودان علماء التصوف من ذوي الثقافة المغربية والحجازية والعراقية، فكان أن أثرى هذا التنوع الحياة الدينية والثقافية في البلاد ولقد كانت السودان أكثر البلاد الإسلامية استجابةً للحياة الروحية الصوفية لسلامة فطرتها وصدق طبيعتها. ولقد احتلت شخصية الصوفي مكانة روحية لدى السودانيين، غير أن مدح رسول الله صلي الله عليه وسلم كان الميزة التي وسمت التصوف في السودان عن غيره من بلاد العالم الإسلامي[1].

ولقد ترسخت أفكار وأوراد المتصوفة عند الكثير من عامة الناس من علماء ومفكرين وفلاسفة وسياسيين بدءاً من حكام دولة الفونج، ولم تقتصر على طبقة الفقراء أو الأغنياء أو العلماء أو طبقة بعينها، وإنما استهوتها أغلب الشرائح السودانية المختلفة، وهذا هو السبب في نجاح واستمرار الطرق الصوفية بشكل قوي وسط المجتمع السوداني رغم ما تعرضت له من منعرجات ومؤامرات بشل حركتها داخلياً وخارجياً لكونها حركة دينية لم يثبت وجودها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة من قبل التيارات السلفية التي تكن العداء للصوفية بشكل عام سواء كان في السودان أو غيره.

إن احتضان السودانيين للطرق الصوفية بمختلف طوائفها وطرقها، أكسب مشايخ الصوفية نفوذا قويا في المجتمع وضمن لها الاستمرار والتجدد عبر أجيال مختلفة، ويعد المجتمع السوداني من أكثر المجتمعات الإسلامية استجابة للنزعة الصوفية حيث تقبل أفكارها بكل

---

1 – عبدالحكيم عبدالغني محمد قاسم. 1989م. *المذاهب الصوفية ومدارسها:* (القاهرة – مصر). مكتبة مدبولي للطباعة والنشر والتوزيع. ص 204.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يسر، وذلك لأن رجال الطرق الصوفية اتبعوا منهجاً مبسطا لنشر العقيدة، كما أن تعميق مبادئها يعتمد علي التلقين ومداومة الأذكار، بالإضافة إلى استعمال الطبول في حلق الذكر، مما حبب العامة في الانخراط في سلك الطريقة، وكان نجاحهم يعتمد على ما يتمتعون به من علم وخلق ديني، وورع وزهد، وصلاح وبركة وحماية للضعفاء من عنت الحكام، ومساعدة الفقراء فأحبهم العامة وأضفوا عليهم الكرامات، ولم يقف هذا التبجيل على العامة بل شاركهم في ذلك الملوك والسلاطين الذين صاروا لا يقدمون على عمل شيء دون أخذ المشورة من مشايخ الصوفية، وقد حظى رجال الطرق الصوفية مثل العلماء بالعون المادي، إذ أقطعهم الحكام الأراضي لإقامة الخلاوي والمساجد ومساكن طلاب العلم[1].

وساهم هذا الدور الكبير للصوفية ورجال الدين الذين وفدوا إلى السودان، في تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي وفض النزاعات القبلية، بالوسائل السلمية بغض النظر عن العرق أو الدين، وإخماد نار الفتن القبلية والطوائفية التي يحاول العنصر الداخلي والخارجي إشعالها، حيث تجمع الناس تحت لواء الشيخ كأسرة واحدة يقدمون له الولاء والطاعة وحسن المعاملة، وعلى إثرها توحد شمل أغلب القبائل السودانية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، وعلى مختلف أذواقهم ومشاربهم وأجناسهم ولهجاتهم العربية والإفريقية، لا فرق بين عربي وإفريقي كلهم تجمعهم زاوية واحدة لتلاوة القرآن والذكر وتعليم الفقه وأصول الدين وعلم التوحيد، والأهم من ذلك ألغت الطرق الصوفية العصبية القبلية المنتشرة بين القبائل

1 – يوسف فضل حسن. الهجرات البشرية وأثرها في نشر الإسلام في السودان. مرجع سابق. ص 28.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وأوقفت الاقتتال بينهم بأساليب سلمية، وأصبحت معظم قبائل البلاد ذات ولاء روحي لمشايخ الصوفية.

ولقد ساهم المتصوفة في الكثير من الأمور التي ارتقى بها المجتمع السوداني، ونقلته من التخلف إلى التقدم في كافة المجالات وخاصة الدينية منها، وبفضل التصوف أصبح المجتمع السوداني من المجتمعات الإسلامية التي يحتذى بها، ولقد جعل هذا الأمر لزعماء الطرق الصوفية مكانة خاصة لدى السودانيين، إذ جعلوا لهم من الاحترام ما لم يناله الحكام، ما مكن قيادات الصوفية من بسط نفوذهم خارج الأطر التقليدية للقبائل التي ينتمون إليها أو يعيشون بين أكنافها، وبتعبير آخر اخترق الولاء الصوفي الولاءات القبلية المتفشية في البلاد، وأصبح سلطان الشيخ الصوفي يمتد إلى آفاق جديدة خارج التقسيمات القبلية التقليدية، وقد أدى ذلك إلى بروز تجمعات طائفية أساسها الولاء للشيخ (شيخ الطريقة) ومن ثم كان الولاء للطريقة (في إطار العقيدة الإسلامية) أرحب من الولاء القبلي الضيق[1].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1 – محمد أبو القاسم حاج حمد. 1416هـ 1996م. السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل جدلية التركيب: (بيروت – لبنان). دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية. ص 150.

المبحث الثاني: الطرق الصوفية في السودان وتطورها السياسي

المطلب الاول: الطرق الصوفية في وسط وشرق السودان

الطريقة المهدية

تنتشر الطريقة المهدية في عدة مدن وقرى مختلفة من أقاليم السودان، وتعتبر مدينة أم درمان إحدى أهم معاقل طائفة الأنصار، وكذلك منطقة الجزيرة أبا بالنيل الأبيض والتي تمثل المعقل الإقليمي للطائفة والمجال البشري والجغرافي والسياسي لها، وكذا إقليم دارفور وولاية الجزيرة. نشأت المهدية كطريقة صوفية ودينية وسياسية ووطنية تحررية تطالب بالإصلاح للواقع الديني والاجتماعي والسياسي حسب الرؤية المهدية. تأسست المهدية على يد السيد محمد أحمد المهدي[1] بن عبدالله بن فحل بن عبد المولى سنة 1881م، وينتهى نسبه لأبيه إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وينتهي نسبه لأمه زينب بنت نصر إلى العباس بن عبد المطلب. لقد نشأ الإمام المهدي متأثراً بالأفكار الصوفية، بالرغم من أنه أسس طريقة خاصة به فيما بعد، وقد أعلن نفسه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وخاض

1 – ولد المهدي محمد بن عبدالله في 12 اغسطس 1844م بمدينة دنقلة وأسرته تقول إنها شريفة من نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد درس الفقه ثم تصوف علماً وعملاً وقد خالف شيخه في التصوف وتزهد وتقشف وكون لنفسه مريدين وأنصاراً على مذهبه الخاص وألف لهم الكتب الكثيرة يدعوهم فيها إلى طريقته وما زال يكبر في نفسه حتى اعتقد أنه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلاً وصلاحاً وقوى هذه العقيدة في نفس صديقه عبدالله وهو المعروف بالتعايشي، وتوفي محمد أحمد المهدي 22 يونيو 1885م. للمزيد من الاطلاع راجع كتاب. أحمد أمين بك. 2009م. المهدي والمهدوي: (بيروت – لبنان). دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى. ص ص 62–65.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عدة معارك هو وأنصاره ضد الحكومة التركية القائمة بالسودان آنذاك، وحارب الإنجليز أيضاً، وحقق انتصارات كبيرة في هذه المعارك مما ساعده على الثبات وتعزيز موقفه بين السودانين[1].

درس الإمام المهدي القرآن الكريم وتعلم الفقه والعبادات وأمور العقيدة الإسلامية، حيث استطاع أن يقيم علاقة وطيدة مع الكثير من كبار المشايخ وعلماء الدين، ثم اتجه إلي التصوف وظهرت عليه إمارات التقوى والزهد والصلاح، فانخرط في سلك الطريقة السمانية، وفى التصوف عمل لجمه بعد أن أنشأ لنفسه خلوة خاصة في الجزيرة أبا 1286هـ 1871م وذاعت شهرته منها، وقصد إليه الناس فيها حتى أصبح خليفة 1292هـ 1875م، وقد أذن له شيخه أن يجوب أرجاء البلاد يأخذ العهود على الأتباع ويقبل ويعتمد انضمام المريدين، وفي سنة 1297هـ 1880م توفى شيخ الإمام المهدي الشيخ القرشي ود الزين شيخ الطريقة السمانية، فخلفه في قيادة الطريقة، وهنا بدأ محاولاته المنظمة لتكوين جماعة دينية صوفية تدعو إلى الإصلاح، فاتصل بالعديد من الحكام ومن الفقهاء داعياً إلى العودة للدين، وتكوين مجتمع مسلم على غرار المجتمع الذى بناه الرسول، عليه الصلاة والسلام، غير أنه لم يجد استجابة من أكثرهم[2].

شرع الإمام المهدي، عند بداية تأسيس حركته، في الاتصال بمشايخ الطرق الصوفية ومخاطبتهم برسائل شفاهية ومكتوبة يطلب فيها تأييد حركته الصوفية ضد الحكم التركي

---

1 – محمد سعيد بن سهو أبو زعرور. 1420هـ 1999م. الصحوة الإسلامية بين الواقع وتطلعات المستقبل: (عمان – الأردن). دار البيارق للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولي. ص 131.

2 – محمد عمارة. 1311هـ 1991م. *تيارات الفكر الإسلامي*: (بيروت – لبنان). دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع. ص 273.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المصري، ويعنى ذلك أن الصوفية وحدها التي بنا فيها محمد المهدي شخصيته الدينية والاجتماعية والسياسية، وأعطته التجربة الصوفية خبرة بالبلاد، وعمل المهدي على صهر بعض أفكار الصوفية في الحركة المهدية. وهنا يقول الدكتور أبو سليم: "فإن المهدية أخذت أسس الطريقة وأضافت إليها أسسها الذاتية، فأصبحت أعلى من الطرق وأوسع منها، فيقول المهدى: في هذا الصدد الطريقة فيها الذل والانكسار وقلة الطعام وقلة الشراب والصبر وزيارة الأولياء، والمهدية أيضاً فيها ستة: الحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله واتفاق القول مع العمل، فهو يرى في الصوفية جانب الزهد ويرى في المهدية جانب الجهاد، أما التشابه بينهما فهو سطحي في تطابق عدد الشروط في كليهما لكل واحدة"[1].

وعندما أعلن المهدي ثورته وجدت مساندة داخلية من مختلف قطاعات الشعب السوداني، الذين كانوا يرفضون الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي آنذاك، وذلك لتطابق مطالبهم التي كانوا ينادون بها مع أهداف الثورة المهدية المتعلقة بالإصلاحات العامة للمجتمع السوداني، ولم يرضوا بالوضع القائم المتردي وتدني مستوى المعيشة، كما اعتمد المهدي في ثورته، بشكل لافتٍ للنظر عند الكثيرين، على مشايخ الطرق الصوفية الذين ناصروه وبايعوه على ثورته لما يتمتعون به من تأثير قوي في الوسط الشعبي ومصداقية كاملة وقدرتهم على التعبئة الجهادية ضد الاحتلال الأجنبي، وعلى غرار ذلك وجدت الثورة المهدية

1 – محمد سعيد القدال. 1412هـ 1992م. الإمام المهدى محمد أحمد بن عبدالله 1844- 1885م: (بيروت – لبنان). دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ص 91.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

معارضة من بعض شرائح المجتمع، ممن كانوا على علاقة وطيدة بالحكم الأجنبي، أو ممن لديهم رؤية خاصة بهم تتعلق بأفكار المهدي نفسه فقال المهدي في هؤلاء: "العالم المصدق في مهديته كالنبي المرسل، وقد ذكر المهدي في حق العالم المصدق بمهديته نص الحديث بأن العلماء ورثة الأنبياء، لأنهم يبلغون الحق للناس ولا يكتمونه: أما ما عداهم من علماء السوء الذين اتخذوا دينهم وسيلة لمعاشهم فقد قال عنهم: يا علماء السوء تصومون وتزكون وتقولون ما لا تفعلون فيا سوء ما تحكمون"[1].

وقال السيد الصادق المهدي إمام هيئة شئون الأنصار، ورئيس حزب الأمة القومي: إن الثورة المهدية ثورة وطنية ضد الاحتلال الإنجليزي للسودان، وهي ليست مهدية آخر الزمان، ولا هي المهدية الاثنا عشرية، وهذه أقاويل معارضي الحركة المهدية، وموالين للاحتلال الأجنبي ولا يريدون للحركة الوطنية النهوض، وهناك من تخوف من الحركة المهدية من زعزعة مكانته الاجتماعية، وهذه كلها أوهام، كما أن الاحتلال لعب دوراً في تغذية بعض القيادات الدينية على خطورة المهدية على الإسلام في السودان، وخاصة من الفقهاء الذين يقفون ضد أفكار الصوفية والمتصوفة بشكل عام"[2].

وقد دعا المهدي أصحابه إلى محاربة الفساد الديني المستشري في البلاد آنذاك، والعودة إلى العقيدة الإسلامية، ورفض التعامل مع الحكومة القائمة في السودان باعتبارها حكومة

---

1 - مكي شبيكه. مرجع سابق. ص 384.

2 - مقابلة مع السيد الصادق المهدي. مرجع سابق.

أجنبية وشهر السلاح في وجهها، وبدأ في تنظيم خلايا من أنصاره، وإرسال موفدين ليتجولوا داخل السودان وخارجه لتوضيح رؤية السيد محمد أحمد المهدي في تكوين المجتمع السوداني الذي تختفي فيه كل الفوارق الدينية والسياسية، والبدء في الإصلاح الديني وإرساء مبادئ العدل والمساواة. ويرتكز الأساس الديني عند الإمام المهدي على الإصلاح الديني الذي يدعو إلى وحدة المسلمين التي ضاعت أمام الفرقة والتمزق المذهبي الذى عانوا منه، كما هاجم فكر الحركة المهدية الطرق الصوفية المختلفة لأنها أدت إلى تفرق وتوزع المسلمين وإلى إضعافهم، وأكدت على أن الطريق إلى الله طريق واضح يمكن استنباطه من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويكون للمؤمن الحق أن يعرف الأسس التي يضعها الإسلام للحياة السوية[1].

وحرص المهدي على إحياء الإصلاح الديني كما ورد في القرآن الكريم والسيرة النبوية، فلقد دعا أتباعه إلى إلغاء الفرقة ودعاهم لنبذ الخلافات والمساهمة في إصلاح ذات البين بين الناس، ونبذ القبلية كفكرة مترسخة نحو العصبية والانتماء إليها بدلاً من الانتماء إلى العقيدة الدينية والوطن بكامله، حيث كان زعماء القبائل والعشائر يتقاسمون المناصب في المستويات المختلفة للحكم المحلي، وذلك بإشراف الحكومة المركزية بالخرطوم، وعمل المهدي على إضعاف نفوذ زعماء القبائل الذين يرى أنهم من ساندوا الحكم الأجنبي.

1 - محمد عزيز نظمى سالم. 1996م. الفكر السياسي في الإسلام: (الإسكندرية – مصر). الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع. ص 235.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفي إطار الإصلاحات الدينية والسياسية داخل المجتمع السوداني، رفض المهدي العمل بالمذاهب الأربعة باعتبارها مصدر الفرقة بين المسلمين، وأكد أن لا وجود لها في السودان بعد الثورة المهدية، كما أمر أنصاره وأتباعه بحرق كل الكتب الدينية ماعدا الأصول منها: القرآن الكريم والأحاديث النبوية المتفق عليها، وقد رفض بعض ممارسات الصوفية كتمسك المريد بكلام شيخه بشكل مطلق، وانغماسه في كافة نواحي الحياة الاجتماعية كالزواج والطلاق، وحذر من خطورة الالتجاء إلى المشايخ بدل الالتجاء إلى الله عز وجل، حيث أصدر منشوراً في أواسط سنة 1301هـ وأوائل 1884م بشأن "حظر العمل بالمذاهب الأربعة[1] والعمل بأي ورد من أوراد الطرق الصوفية، إلا ورد المهدي ولم يستثنى من ذلك حتى الطريقة السمانية التى تربى في أكنافها، وقد كان المهدي يهدف من كل ذلك إلى الحد من الخلاف بين المسلمين، وقد أشار لذلك بقوله: "تعددت الطرق واختلفت، حتى ظن أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد وأن غيره من زعماء الطرق الصوفية خارج عن الدين، فضل القوم ضلالاً مبيناً وأصبحوا يوجهون أنظارهم لمشايخهم بدلاً من ينبوع الدين والعرفان الأصيل القرآن الكريم والسنة المطهرة"[2].

1 – أصحاب المذاهب الأربعة عند المهدية: هم رجال ونحن رجال، وطريقتنا لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومذهبنا الكتاب والسنة، وما جاء من عند الله على رؤوسنا وما جاء من النبي صلى الله عليه وسلم، على رقابنا، وما جاء من الصحابة إن شئنا عملنا به وإن لم نشأ تركناه.

2 – رابعة على عثمان. 1996م. تاريخ الطريقة السمانية وانتشارها في السودان في الفترة من 1766م – 1898م. رسالة ماجستير في التاريخ: (الخرطوم – السودان). جامعة الخرطوم كلية الدراسات العليا. ص ص 84 – 85.

وفي سياق الإصلاح السياسي للمهدية عمل على إنشاء حكم مركزي من الناحية الإدارية تحت قيادته، ورفض القيادات القبلية التي تحاول ترسيخ الحدود بين أبناء الشعب الواحد، وحاول المهدي غرس فكرة الوحدة الوطنية واستقلال الشخصية السودانية عن القوى الخارجية، وسحب الصلاحيات القانونية والسياسية التي كان تتمتع بها الزعامات القبلية، وكما عمل أيضا على إلغاء سياسة الرقيق في السودان التي كانت تمارس بشكل كبير، حيث اعتبرها مخالفة للشريعة الإسلامية والأعراف والتقاليد ومصدراً لبث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

لقد شكل كل من القرآن الكريم والسنة النبوية مرتكزات الدعوة المهدية، وذلك باعتبارهما المرجع الأول في التشريع الإسلامي، هذا بالإضافة إلى عدم التقيد بالمذاهب الفقهية الأربعة باعتبارها العوامل التي فرقت الأمة وأبعدت الناس عن روح الدين، والتمييز بين الثابت والمتغير على أساس أن لكل وقت ومقام حال ولكل زمان وأوان رجال، والنظرة العميقة للإسلام باعتباره تجسيداً حياً في الواقع وليس نصوصاً وإشارات، وتجاوز الخلافات التاريخية بين السنة والشيعة وبين العقل والنقل وبين الحقيقة والشريعة باعتبار أن الاسلام يوفق بينهما، وإحياء فريضة الجهاد والاجتهاد إذ لا حيوية للإسلام إلا بهما، وأن البعث الإسلامي المنشود لا يتحقق إلا بمنهج واضح محدد المعالم[1].

1 – عبدالمحمود أبو الأمين. 2009م. جماعة الفكر والثقافة الإسلامية. رؤية هيئة شئون الأنصار في الجماعة الإسلامية في السودان الأصول المايزة وأوجه التقارب: الخرطوم. ص 5.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفي السياق ذاته قادت الحركة المهدية في السودان إلى قيام أول دولة إسلامية متحدة، جمعت تحت رايتها جميع السودانيين بمختلف طوائفهم وقبائلهم وألوانهم وثقافاتهم وتقاليدهم، وهى الوحدة القومية التى كانت مفقودة حتى قيام الثورة المهدية، لأن الأتراك الذين حققوا الوحدة السياسية للبلاد تعمدوا إهمال الوحدة القومية لأهل السودان، ونجحت المهدية في إزالة الفواصل القبلية، إذ جعلت القبائل السودانية أمة واحدة تربطها وشائج الأخوة الإسلامية، فشكل ذلك التنوع العرقي والثقافي والجهوي نسيج المجتمع المهدي الجديد كما أسهم في غرس مقومات وخصائص الشخصية السودانية[1].

وفي لقاء مع محمود أبو، رئيس هيئة شئون الأنصار، قال: إن الحركة المهدية قامت بإصلاحات عامة سياسية ودينية واجتماعية، فلقد بدأ الإمام محمد أحمد المهدي بالإصلاح السياسي، حيث كان المواطن السوداني يرزح تحت قيادات سياسية موالية للاحتلال التركي، ولا يملكون أية صلاحيات لاتخاذ القرارات السيادية، بل قد وقع الظلم والجور على السكان من جراء سياسات عقيمة وذات مصالح جهوية وقبلية، وجمع كل الطاقات السودانية من أجل تحرير السودان من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه ونيله استقلاله كاملاً، وفي خط موازي للإصلاح السياسي حرص المهدي على الإصلاح الديني، فحارب انتشار الخمور وغيرها من الأمور غير الأخلاقية التى تتنافى مع الشرائع الإسلامية، وقام بفتح معاهد متخصصة لتعليم

1- إبراهيم. الجاك إبراهيم. الحياة الاجتماعية في الدولة المهدية بالسودان 1298هـ 1315هـ1881م – 1898م. يناير 1997م. رمضان 1417هـ دراسات إفريقية مجلة بحوث نصف سنوية: (جامعة إفريقيا العالمية– السودان). دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة. العدد السادس عشر. ص 122.

القرآن الكريم والفقه الإسلامي، إضافة إلى ذلك عمل المهدي على الإصلاح الاجتماعي داخل المجتمع السوداني، ورفض الولاء القبلي والجهوى المتعصب، وشكل لجانا للمصالحات في الولايات لحل الخلافات القبلية التى تحدث بين الحين والآخر[1].

الباحث بجانب الشيخ محمود آبو أمين رئيس شئون الأنصار (شكل رقم 2)

ولقد سعت المهدية إلى توحيد أبناء الشعب السوداني من شماله إلى جنوبه، وغرس فكرة الشعب الواحد بمختلف اتجاهاته وأعراقه وقبائله، والنظر للسودان الواحد بدلاً من حكم المحليات والتشتت الذي يصب في مصلحة الاستعمار، فالثورة المهدية نشرت أفكارها الدينية

1 – مقابلة مع السيد محمود أبو رئيس هيئة شئون الانصار، بمقر هيئة شئون الأنصار بأم درمان، يوم الأحد الموافق 18 يوليو 27 يوليو 2010م، تمام الساعة الحادية عشرة وعشرون دقيقة.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

والسياسية في العديد من مناطق الجنوب، حيث تباعدت الهوة بين الشمال والجنوب نظراً للطبيعة الجغرافية وصعوبة الاتصال والخطط الاستعمارية لفصل الشمال عن الجنوب، حيث اندلعت الثورات في مناطق عدة في الجنوب لمناصرة الثورة المهدية رغم دياناتهم المسيحية والوثنية، فقد كان القاسم المشترك مع المهدية تحرير الأراضي السودانية من قبضة الاحتلال التركي المصري، إضافة إلى وجود مشاكل في الجنوب أسوة بما يجري في الشمال، من ارتفاع الضرائب وتفشي الفقر وقسوة الحكام المحليين الذين يمتازون بحكم مطلق.

ويقول السيد الصادق المهدي، رئيس حزب الأمة وإمام طائفة الأنصار، إن الدعوة المهدية، أتت بالكثير من الإصلاحات السياسية ليس في السودان فحسب بل شملت المنطقة بأسرها، وأعطت الآمال الكثيرة من قيادات التحرر في الدول التي ترزح تحت الهيمنة الاستعمارية، ووحدت السودان في بوتقة واحدة وتحت سلطة سياسية واحدة، بعد أن كانت تمزقه الصراعات القبلية، وحررته من قيود العنصرية والقبلية التي غرسها الاستعمار الأجنبي بين السودانيين، إضافة إلى أن الحركة المهدية طبقت الشريعة الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة، وأسستْ دولة إسلامية بعيدة عن التعصب والتمزق الديني، وداعية إلى التعايش السلمي بين الديانات، ولذا تعد الحركة المهدية في السودان بوابة للتحرر الوطني لكل دول إفريقيا[1].

وتعتبر الحركة المهدية في السودان من بين الحركات التي انتشرت في العالمين العربي والإسلامي، وحملت معها مضامين إصلاحية سياسية ودينية واجتماعية، ولقد ساهمت الثورة

1 – مقابلة مع السيد الصادق المهدي. مرجع سابق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المهدية الصوفية خلال فترة حكمها في إعادة الإصلاح الديني والسياسي والاجتماعي في السودان، فقد كانت حركة تجديدية إحيائية تطورت من السلبية المنعزلة في الدوائر الصوفية المنفصلة إلى الدور الإيجابي الحقيقي للتصوف، الذى يغير المنكر بيده لا بلسانه أو قلبه، وقد ناظر المهدي الجميع بعد أن نصب نفسه المنقذ والمحرر الأول والمهدى المنتظر من عهد قديم، وهو لهذا يفضل دعوة شيخه القديم الجيلاني لأنه كان يحارب المنكر بيده وسيفه[1].

ورغم الفترة القصيرة لحكم الإمام محمد المهدي للسودان 1881م – 1885م، إلا أن التفاف الناس حوله عزز مكانته، وذلك نتيجة للشعارات التي تبنها، ومحاربته لبعض المظاهر التي رأت فيها المهدية عادات مخالفة لشريعة الإسلام. إذن فقد كان فكر المهدية بمثابة انقاذ للإسلام من الغلو في التصوف والتزمت في تقليد المذاهب الفقهية، لذلك نجد المسلم السوداني معتدلا في تصوفه مرنا في تقليده للمذهب المالكي، الذى يعتبر المذهب السائد في البلاد، وهذه البساطة ساعدت في توسيع دائرة التعليم الديني، فلم يعد التعليم الديني مهنة تخصصية تقتصر على العلماء والفقهاء فحسب وإنما صار حقا مشاعا لكل من يحفظ القرآن الكريم، ولذلك انتشرت الخلاوي في المدن والقرى، وصارت كلمة (فكي) (فقيه) تعنى معلم القرآن وقد لا يكون صاحب اللقب فقيها بالمعنى الاصطلاحي[2].

---

1 – عبدالقادر محمود. مرجع سابق. ص 99.

2 – محمد أحمد الحاج. 1425هـ 2004م. المهدية وأثرها في السودان: (الخرطوم – السودان). دار الأصالة للصحافة والنشر والإنتاج الإعلامي. الطبعة الثانية. ص 48.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بعد دخول الجيش البريطاني، عقب إنهاء الحكم التركي في 26 يناير 1885م، سعت الإدارة الإنجليزية إلى إضعاف دور الطرق الصوفية حتى لا تتكرر تجربة المهدية، ودمرت البنية التحتية لطائفة الأنصار، وفي العام 1914م صار عبدالرحمن بن محمد أحمد المهدي زعيما روحيا للأنصار، بعدما أنقذ الطائفة من التشتت، نتيجة للضغط الاستعماري الإنجليزي على الطريقة، ومحاولته نزع الروح الجهادية من تكوينها الفكري والديني، فأعاد الإمام عبد الرحمن فتح خلاوي المهدية. وفي 1946م قامت طائفة الأنصار بتأسيس حزب الأمة ليمثل الواجهة السياسية لها، وبذلك أصبحت من الطرق الصوفية البارزة في العمل السياسي.

ويعتبر زعيم طائفة الأنصار هو رئيس الحزب أو الراعي له، ويملك السلطة العليا في شئون الحزب الداخلية والخارجية، إضافة إلى قياداته النافذة، والذين ينتمون، في أغلب الأحيان، إلى طائفة الأنصار أو من بيت المهدي. ولقد ظل حزب الأمة يستند إلى عدد كبير من العضوية، يتناقص ويتزايد بين فترة وأخرى، ويتمتع بنفوذ سياسي قوي في السودان، كما يعتبر من ضمن الأحزاب الكبرى الذي يشكل الخارطة السياسية في البلاد، حيث تقلدت قياداته، وبدعم من أنصاره، العديد من المناصب السياسية في قمة هرم الدولة. حيث نجح في الوصول لرئاسة الحكومة في عام 1965م بعد الانتفاضة الشعبية في 1964م، من خلال الفوز في الانتخابات الرئاسية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

من ناحية أخري فإن الممارسة السياسية لطائفة الأنصار خلقت نوعا من الصراع بين أبناء البيت المهدي، ففي فترة الستينيات اختلف الصادق المهدي مع عمه الإمام الهادي المهدي، إمام الأنصار آنذاك، حول رئاسة الحزب وزعامة الطائفة، حيث الصادق المهدي بالفصل بين رئاسة الحزب، الذي يرغب في رئاسته، وبين إمامة طائفة الأنصار، وفي بداية الألفية انشق حزب الأمة المبني على طائفة الأنصار بين السيد الصادق المهدي وابن عمه مبارك الفاضل المهدي والذي أسس حزب الأمة والإصلاح والتجديد.

الطريقة الهندية

تعود هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ الشريف يوسف الهندي، حيث انتشرت في ولاية سنار وشمال وجنوب كردفان، وجزء من جبال النوبة تعرف بمنطقة كادقلي، "وقد أخذ الشريف يوسف الهندي القرآن عن والده وأخيه الشريف علي ثم نمى معارفه كسبا واجتهادا، وعندما أسندت إليه أمارة الإشراف في أيام الحكم المهدوي لم يكن قد بلغ سن الرشد، وقد كان موضع التكريم من الإمام المهدي وخليفته من بعده وبدأ الشريف عقب الفتح المصري البريطاني للسودان في نشر طريقته اليوسفية الهندية والتعريف بها فكتب للناس نصيحة في الدين أورادا وأذكارا ومدائح كما ألف سيرة نبوية"[1].

1 – يحي محمد عبدالقادر. 1407 هـ 1987م. شخصيات من السودان أسرار وراء الرجال: (الخرطوم – السودان). المطبوعات العربية للتأليف والترجمة. الطبعة الثانية. ص 84.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وساهمت هذه الطريقة في نشر الدين الإسلامي وترسيخ تعاليمه في الكثير من أنحاء السودان عبر مريديها وشيوخها، حيث عملت أسوة ببقية الطرق الصوفية في تعليم القرآن الكريم وتدريس الفقه، والتحق بها عدد لا يقل شأناً من الذي انضم لخلاوي الطرق الأخرى، وذلك نظراً لما يتمتع به مشايخها من علاقات اجتماعية قوية ومتينة في كثير من القبائل وخاصة الوسطى منها.

وأيد الشيخ الشريف محمد الهندي الدعوة المهدية وأمر أنصاره للانضمام إليها، وخاصة أنصار الهندي في الأبيض، وجالس الهندي العديد من المرات الإمام محمد أحمد المهدي حتى قبل أن يجهر بدعوته وسار على نهج وتحالف المهدي إلى غاية وفاة الإمام محمد المهدي، وحدثت خلافات بين الهندي والخليفة عبدالله التعايشي على بعض التصرفات الفردية من طرف التعايشي، مما يراها الهندي ظلماً واستعباداً للبشر وهذا يتنافى مع الشريعة الإسلامية، إلى حد وصل الهندي على قطع العلاقة مع خليفة المهدي وأنصاره[1].

فأعادت قيادات الطريقة الهندية ترتيبات البيت الهندي من جديد تجاه تحالفاتهم الخارجية وعلاقاتهم بالطرق الصوفية الأخرى، فتحالفت مع "الطريقة الإسماعيلية والختمية في مواجهة الأنصار. وجاء الشريف يوسف الهندي إلى الخرطوم من قرية الربوة جنوب مدني، بعد أن نفاه الإنجليز هناك، والذين كانوا يرون فيه مصدر إزعاج، لأنه ربما ساعد على تجديد الثورة

1 – إبراهيم القرشي عثمان. ذو الحجة 1425هـ يناير 2005م. الشريف محمد الأمين الهندي. قطب القرآن وخاتمة المحققين: (الرياض – السعودية). مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر. ص ص 80 95.

المهدية، وزاد عدد مريديه واتسع نفوذه حتى صار من أصحاب الشأن، واضطر الإنجليز لتقريبه مداراة فلم يشق عصا الطاعة عليهم حتى ظهور مؤتمر الخريجين، وارتفع صوت مصر المؤازر للسودان، ولا يعني ذلك أنه مال إلى السياسة وترك الدين، بل كان صوفيا وله تجربته الخاصة في الرياضة الروحية والتربية، ومن أبنائه من بقي على تصوفه حيث خلفه ابنه عبدالرحمن ثم إبراهيم ثم الشيخ الصديق وكان من أبرز أبنائه السياسيين الشريف حسين الهندي والشريف زين العابدين الهندي"[1].

ولأبناء الطريقة الهندية ميول للعمل السياسي أسوة ببعض الطرق الصوفية كالمهدية والختمية، فكان لأسرة الهندي دور بارز في كافة الأمور السياسية في السودان بعد مجيئ الإنجليز للسودان، فقد برز دورهم في تأسيس مؤتمر الخريجين في أوائل الثلاثينيات والمفاوضات مع الإنجليز وغيرها من الأدوار السياسية التي تبنتها الطريقة الهندية، وفي سنة 1952م انضم الشريف زين العابدين الهندي إلى الحزب الاتحادي الديمقراطي الذي تدعمه الختمية وغيره من الطرق الصوفية.

1 – عبدالرحمن أحمد عثمان. رمضان 1425 هـ 2004 م. الصوفية بالسودان مصدات ثقافية وأوعية للعمل الاجتماعي: (الخرطوم – السودان). دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة. ص 22.

الطريقة الأحمدية:

تعتبر الطريقة الأحمدية من الطرق الصوفية المنتشرة في العالم الإسلامي، وترجع إلى مؤسسها الشيخ أحمد البدوي[1]، وتنتمي أصوله إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى وتعلم القرآن الكريم في المدينة المنورة ودرس الفقه وعلوم القرآن الكريم ودرس الرياضة الروحية والعبادة، وكان الشيخ أحمد يمتاز بالورع والزهد منذ شبابه. ولقد "دخلت الطريقة الأحمدية البدوية إلى السودان مع دخول العهد التركي المصري، على يد الشيخ موسى بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسان بن الشيخ عبد الرحمن، وهو من مواليد قرية ميت برة التي تقع بالقرب من مدينة بنها بمصر، وقد أخذ العهد عن الشيخ حسن شمس الدين شيخ السجادة الأحمدية المرازقية بالعالم الإسلامي"[2].

ومنذ ذلك التاريخ استمرت الطريقة الأحمدية في الانتشار بين السودانيين وفتحت عدداً من الخلاوي في الخرطوم وأم درمان لتدريس القرآن الكريم وتعاليم الفقه، إلا أن المواقف الوطنية لمؤسس الطريقة الأحمدية في السودان ضد الظلم والجور الذي يتعرض له المواطن من جراء الحكم التركي المصري، أكسبها الكثير من خلال انتشار أوراد الطريقة وازدياد مريديها،

---

1 – الشيخ أحمد البدوي بن السيد علي بن السيد إبراهيم بن السيد محمد ين السيد أبي بكر بن السيد إسماعيل بن السيد علي بن السيد عثمان بن السيد محمد بن السيد موسى بن السيد يحيى بن السيد عيسى بن السيد الهادي بن السيد محمد العطا بن السيد حسين بن السيد جعفر بن السيد علي الدبري بن السيد الكاظم بن السيد جعفر الصادق بن السيد محمد الباقر بن السيد علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الأمام علي كرم الله وجهه.

2 – الشيخ طه الشيخ الباقر. 1425هـ 2004م. *موسوعة أهل الذكر بالسودان:* (الخرطوم – السودان). شركة مطابع السودان للعملة المحدودة. الطبعة الأولى. ص 100.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فقلد كان موقفه مؤيداً للثورة المهدية وأعلن مبايعته للمهدي منذ الوهلة الأولى وحث أتباعه للوقوف مع المهدي والتصديق بمهديته، "وعندما حاصر الإمام المهدي الخرطوم برهن الشيخ موسى على حكمته ورجاحة عقله، فقد كتب للإمام المهدي وسلمه الفرقة، فقبل منه الإمام مبايعته، وألبسه الجبة المرقعة بدلاً من الجبة الأزهرية وبعد سقوط الخرطوم، رجع الكثيرون من ضباط وجنود الفرقة إلى مصر، بل ظل الشيخ بالخرطوم، فأسس زاويته بحي الكاشف بأم درمان فى عام 1301هـ 1883م وواصل نشر الطريقة الأحمدية البدوية المرازقية، فتتلمذ على يده الكثيرون من المريدين منهم الشيخ محمود الكنزي، والذي صار خليفته الأول فيما بعد"[1].

الطريقة الختمية

تمثل مدينة الخرطوم بحري معقل الطريقة وتحتوي على مسجد كبير للختمية، وتعتبر مدينة كسلا في الشرق السوداني المركز الثاني للطريقة التي يمتد نفوذها بين القبائل المشتركة بين السودان وإريتيريا، ويعتبر السيد محمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية[2] في السودان في بداية القرن التاسع عشر، ومن أبرز تلاميذ الشيخ أحمد بن إدريس مؤسس الطريقة الإدريسية، حيث تعتبر الطائف بداية نشأته التى ولد فيها حيث تربي تربية دينية صوفية، ودرس الفقه وعلم الكلام وأصول الدين الإسلامي، وكانت زياراته للسودان متكررة وبدون توقف عبر

1 - *المرجع نفسه*. ص 101.

2 - تتكون الطريقة الختمية من خلاصة خمسة طرق رمز لها بالرمز "نقش جم" فالنون ترمز للطريقة النقشبندية والقاف للقادرية والشين للشاذلية والجيم للجنيدية والميم للميرغنية طريقة جده السيد عبدالله الميرغني. للمزيد من الاطلاع راجع الشيخ طه الشيخ الباقر. محرم – صفر 1424هـ مارس – ابريل 2000م. *الفيض للشريعة والطريقة والحقيقة*: (الخرطوم – السودان). شركة شمس للانتاج الفني والإعلامي. العدد الثاني عشر. ص 58.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مصر، ومع لقاءاته المستمرة بالسودانيين وخاصة من ناحية الشرق حيث استقبلوه وخاصة بين الفئات التجارية، وتشرب الكثير منهم أفكاره الصوفية التي يحملها. ويعتبر شرق السودان منطقة عبور تجارية بين السودان وبعض الدول الجوار كمصر وإريتريا.

اتسع نطاق انتشار الطريقة الختمية في السودان بين مختلف الشرائح الاجتماعية عندما قام الشيخ السيد الحسن بن السيد محمد عثمان، أبرز زعماء الختمية، بسودنة الطريقة، حيث تربى ونشأ في السودان على عكس والده تماما، وقام بمد أواصر العلاقة مع القبائل في شرق السودان التي دخل البعض منها في الإسلام عن طريق مشايخ الختمية وجلهم بدأ صوفي على الطريقة الختمية، وتعتبر أوسع الطرق انتشاراً في السودان، وأقواها نفوذا، وتشمل تبعيتها شمال السودان وشرقه، عدا مناطق قليلة، كما أن لها تبعية كبيرة في الوسط، وتعتبر الطبقة ذات النفوذ في مدن غرب السودان من الختمية أيضا، وللختمية كذلك في بعض مدن الجنوب أتباع أقوياء ذوو نفوذ[1].

لقد كان لعلاقة السيد الحسن بن السيد الميرغني الوطيدة بالحكم التركي المصري في السودان إسهام كبير في تثبيت دعائم نفوذ الختمية في العديد من المناطق، بعدما كانت محصورة في شرق السودان، فاستفادت الطريقة من هذه العلاقة في الحصول على الدعم المادي من الحكومة في بناء المساجد والخلاوي لتدريس القرآن الكريم وتعاليم الشريعة الإسلامية.

1 – يحي محمد عبدالقادر. 1407هـ 1987م. *شخصيات من السودان أسرار وراء الرجال*: (الخرطوم – السودان). المطبوعات العربية للتأليف والترجمة. الطبعة الثانية. ص 32.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ولعل هذا يتماشى مع منهج الطريقة الختمية التي ترفض العنف مسلكا وفكرا، وتعتمد أسلوب الحوار في حل القضايا، وهذا سبب عدائها للطرق التى هي في نظرهم تساند العنف، كالطريقة المهدية التى استمر خلاف الختمية معها فترة من الزمن.

وتعتبر الطريقة الختمية من الطرق الصوفية التى مارست السياسة بشكل مباشر منذ دخولها للسودان، فقد وضعت أساساً للعمل الديني والسياسي معاً من خلال سعيها لتوطيد العلاقات مع السياسيين، وكان للطريقة مواقف أسهمت بإيجابية في حل القضايا السياسية التى واجهت السودان آنذاك. فقد ارتبط السيد علي بالسياسة منذ القرن التاسع عشر، تاريخ دخول الختمية للسودان، في عهد الحكم التركي[1]. أما علاقة الختمية بالمهدية فلقد مرت بمراحل من الصراع وصل إلى حد الصدام المسلح بينهما نتيجة لاختلاف رؤيتهما الدينية والسياسية، فرفضت الختمية دعاوى المهدي المنتظر، رغم ما قيل من خطابات كتبها المهدي لقيادات الختمية يطلب فيها مبايعته وتأييده في حركته، فكان رد الختيمة الرفض، مما اضطر الختميين أن يحتموا تحت لواء الحكم التركي المصري خوفا من انتقام المهدي منهم. ولعل أسباب العداء تعود إلى توجس الختمية من أن يؤدي نجاح المهدية إلى تصفية الطريقة الختمية والقضاء على نفوذهم الديني والأسري[2].

---

1 – الشيخ طه الشيخ الباقر. الفيض. مرجع *سابق*. ص ص 156- 157.

2 – محمد إبراهيم. 1412هـ 1992م. بحوث في تاريخ السودان (الأراضي – العلماء – الخلافة – بربر – علي الميرغني): (بيروت – لبنان). دار الجيل للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ص 163.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وبدأت المنافسة بين الطرفين على استقطاب القيادات الدينية المؤثرة في الوسط الشعبي، وذلك من أجل بناء قاعدة شعبية من المريدين والمحبين تدين بالولاء الديني والسياسي لأحد الطريقتين، حيث عملت الطريقتان على مد جسور التواصل في مختلف الأقاليم، من خلال فتح المساجد والخلاوي، السعي لتحسين الظروف المعيشية لأهل الحي أو القرية في ظروفهم، مع تقديم الإغراءات السياسية والمالية للشخصيات المؤثرة والأكاديمية، ويظهر هذا التنافس جليا أثناء الحملات الانتخابية، أو أي موقف سياسي يتطلب العودة للقواعد الجماهيرية، فمثلا، تحول الشيخ القرشي هو وأبناء منطقته إلى الطريقة الختمية بعد أن كانوا أنصارا. كما عقد لقاء في مدينة عطبرة بين بعض قيادات الحركة العمالية وبعض قيادات الختمية بغرض استقطاب عمال السكك الحديدية، ووجدت الختمية أتباعا لحركتها السياسية وسط أغلب المثقفين وكثير ممن يحملون شهادات رفيعة في مجالات تخصصهم[1].

ومع استمرار البيت الختمي في المساهمة والمشاركة السياسية على مختلف الصعد داخليا وخارجيا، وامتلاك القوة الاقتصادية التي تؤهلهم لأن يلعبوا دورا سياسيا قويا، بالإضافة إلى الكوادر الأكاديمية في مختلف المجالات التي استحوذت عليها الطريقة الختمية، أعلن في 26 يوليو 1956م عن تأسيس حزب الشعب الديمقراطي، ليكون الواجهة السياسية للطريقة الختمية، حيث فتح الانضمام للحزب لكل السودانيين الراغبين في التسجيل، مسلمين وغير

1 – طارق أحمد عثمان. 1996م – 1997م. طائفة الختمية ودورها الديني والسياسي في السودان في الفترة من 1881م – 1955م. رسالة ماجستير جامعة إفريقيا العالمية مركز البحوث والدراسات الإفريقية. قسم الدراسات الإفريقية. ص 104.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مسلمين. ويظل زعيم طائفة الختمية هو الراعي للحزب ويتمتع بصلاحيات واسعة، إضافة إلى أن القيادات النافذة في الحزب تنتمي في الأساس للبيت الختمي. ورغم وجود قيادات سياسية بارزة تنتمي إلى طرق أخرى، قام السيد علي في أواخر الثلاثينات وبداية الأربعينيات بإنشاء صحيفة ناطقة باسم الطريقة الختمية، سياسياً ودينياً، وتم إنشاء شبكة من الجمعيات والاتحادات الختمية من أجل تعزيز قوتها السياسية، مثل منظمة شباب الختمية والتي أنشئت في فبراير 1940م[1].

وتعتبر الطريقة الختمية من الطرق الصوفية في السودان التي لم يصبها مرض الانقسام الذى أصاب الطرق الصوفية الأخرى، فالبعض منها تفرع إلى عدة فروع وبيوتات، ويملك استقلالية كاملة عن الطريقة الأم، وهذا يعد مصدر قوة للطريقة الختمية وخاصة على الصعيد السياسي. وفي سعيه للحفاظ على سيطرة أسرة الميرغني على قيادة الحزب، فقد وافق السيد علي فى يناير 1966م على انضمام أعضاء من عائلة الميرغني، السيد أحمد والسيد محمد سر الختم، كأعضاء في اللجنة التنفيذية لحزب الشعب الديمقراطي[2].

ولكن التصدع الذي حدث بين السياسيين داخل الحزب الشعب الذي يضم كما أسلفنا الختميين وغيرهم، نتيجة للاختلافات في المواقف السياسية اضطر البيت الختمي للانسحاب منه، وتم تأسيس الحزب الوطني الاتحادي، والذي يعتبر زعيم الطائفة الختمية

1 - ظاهر جاسم محمد. مرجع سابق. ص 241.

2 - المرجع نفسه. ص 352.

الرئيس الفخري له، وبالإضافة إلى طائفة الختمية، يضم الحزب بعض الطرق الصوفية الأخرى كالطريقة الهندية مثلا، وقد أسهم الحزب بشكل فعَّال ومؤثر في واقع الحياة السياسية في البلاد[1].

الطريقة القادرية

استحوذت الطريقة القادرية على الرقعة الجغرافية في وسط السودان ومنطقة النيل والجزيرة، كما تنتشر بين الأمرار، إحدى فروع البجة بشرق السودان، وتعتبر من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في العالم الإسلامي، وخاصة في الشمال الإفريقي والسودان، وتنسب إلى أكبر مشايخ الطرق الصوفية والملقب بسلطان الأولياء الشيخ عبدالقادر الجيلاني. وأول من أدخل الطريقة القادرية إلى السودان الشيخ تاج الدين البهاري[2] في منتصف القرن السادس عشر، أي بعد قيام دولة الفونج بخمسين عاما تقريبا، واستوطن في منطقة الجزيرة، حيث نشر الأوراد الخاصة بالطريقة القادرية، واستطاع استقطاب الكثير من الزعامات الدينية، ومن أكبر مشايخ هذه الطريقة في تلك الفترة محمد الأمين بن عبدالصادق مؤسس الطريقة الصادقية، والشيخ

1 – المرجع نفسه. ص ص 312 – 315.

2 – يقول الفقيه محمد ضيف الله بن محمد الجعلي الفضلي في كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان : تاج الدين البهاري البغدادي : اسمه محمد والبهاري، نعته مأخوذ من قولهم، قمر باهر أي: مضيء سمى بذلك لضياء وجهه: هو الشيخ الإمام القطب الرباني والغوث الصمداني خليفة الشيخ عبدالقادر الجيلاني مولده ببغداد، حج إلى بيت الله الحرام، وقدم بلاد السودان بإذن من رسول الله صلي الله عليه وسلم، والشيخ عبدالقادر الجيلاني قدم مع داوود عبدالجليل أو الحاج سعيد جد ناس العيدي، وقدومه أول النصف الثاني من القرن العاشر أول ملك الشيخ عجيب، وسكن مع داوود في وادي شعير. ص 60.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بانقا الضرير مؤسس الطريقة اليعقوبية، والشيخ عبدالله دفع الله العركي مؤسس العركيين، كلها بيوتات الطريقة القادرية في السودان.

والطريقة القادرية من أوائل الطرق الصوفية التى دخلت السودان وأكثرها انتشارا، فأول وجود لها في السودان كان في منطقة الجزيرة والقري المجاورة لها، ومما ساعد على هذا الانتشار السريع للطريقة في الأوساط الشعبية السودانية، القبول الشعبي لدى قياداتها، نتيجة جهودهم في تعليم الناس أمور الدين الإسلامي، وفتح الخلاوي والمدراس القرآنية، ومن أبرزهم الشيخ إدريس الأرباب، والشيخ حسن بن حسونة، والشيخ محمود العركي وغيرهم، وتشعبت الطريقة القادرية[1]. إثر دخولها إلى السودان إلى شعب مختلفة، كان بعضها يرجع إلى تاج الدين البهاري عن طريق الهميم أو العركيين، أو اليعقوبات وكان بعضها الآخر يرجع إلى الشيخ عبد الكافي عن طريق الشيخ إدريس بن محمد الأرباب، ويعزى سبب هذا التشعب، إلى طموح كل فرد من رواد الشعب إلي الزعامة، والخلافة، فقد رأى الهميم أنه قد خلفه البهاري لزعامة الطريق القادري فالواجب يتطلب منه أن يحافظ على الزعامة، ويدعمها في نفوس الأتباع والمريدين، ولا يسمح لأحد، مهما كان أن يشاركه فيها، حتى يضمن للطريق القادري، البهاري وحدته، ويحفظ للمتصوفة مكانتهم عند ملوك ومشايخ العبدلاب، ورأى العركي أنه

1 – وتفرعت الطريقة القادرية في السودان إلى عدة فروع منها: الطريقة القادرية العركية في كسلا والقادرية في منطقة أبو حمد والقادرية بولاية بحر الغزال القادرية بمنطقة المناصير والقادرية بمحلية الشريك والقادرية الحسيبات والطريقة القادرية بالدندر والقادرية المكاشفية بغرب كردفان، والطرق القادرية الكباشية. للمزيد من الاطلاع انظر كتاب: شوقي بشير عبدالمجيد. ذو القعدة 1428هـ نوفمبر 2007م. الشيخ عبدالقادر الجيلاني حياته وآثارة: (دمشق – سوريا). الناشر المجلس القومي للذكر والذاكرين الأمانة العامة. الطبعة الثانية.

أحق بخلافة البهاري وأولى بزعامة أتباعه، ورأى الشيخ يعقوب بن الشيخ بانقا الضرير أنه، وهو العالم الفيلسوف، أحق بالزعامة والخلافة من الهميم الذى لا يدانيه علما وثقافة[1].

وقد يكون لتفرع الطريقة القادرية إلى عدد من الفروع في ولايات السودان، وخاصة في الإقليم الاوسط، دور إيجابي في نشر الطريقة القادرية واستقلالية مشايخها، مما جعلها تنتشر بشكل كبير بين أوساط الناس بكل يسر، فنجد أن استقلالية الفروع القادرية في السودان قد أسهمت في تكوين شخصيات صوفية قادرية ذات مكانة مرموقة في مناطقها التي يقطنون فيها، من جانب آخر، فإن كل من سلك الطريقة القادرية على يد الشيخ البهاري كانوا من أصحاب السلطة الروحية في المجتمع السوداني، فالشيخ العجيب كان ملك العبدلاب، والشيخ بانقا من الأسرة الحاكمة في دولة الفونج، لذلك كان من الصعب أن يفرض على مثل هؤلاء الأتقياء تحت إمرة مركزية للطريقة لما يتمتعون به من مكانة عظيمة في مجتمعاتهم، بالإضافة إلى ما سبق هنالك ظروف اقتضت قيام مثل هذه الفروع القادرية بداخل المجتمعات المحلية لشيوخها وذلك للحد من نفوذ هذه الطرق في المناطق التي تنتشر فيها الطريقة القادرية، ومثال ذلك ما قام به الشيخ يوسف أبوشرا للتصدي لنفوذ الطريقة السمانية لمناطق نفوذ الطريقة القادرية بالجزيرة، وما قام به الشيخ العبيد ودبدر في أم ضوا بان[2].

---

1 – حسن محمد الفاتح قريب الله. رمضان 1384هـ يناير 1965م. التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير. كلية الآداب بجامعة الخرطوم بالسودان. ص ص 134- 135.

2 – جمال مصطفى علي. 2009م. القباب والأضرحة في السودان شيوخ العركيين في طيبة وأبي حراز دراسة وصفية تاريخية موثقة.: (الخرطوم – السودان). بدون دار نشر. الطبعة الأولى. الكتاب الثاني. ص 35.

ولم يكن لقيادات الطريقة القادرية أية أنشطة سياسية عند بداية تواجدهم في السودان، وكان الأهم عندهم هو النشاط الديني، وليس لديهم الحرص على تكوين حزب سياسي يكون الجناح السياسي للطريقة، فأطلق العنان للمريدين ومحبيهم على الممارسة السياسية وفق ميولهم وتوجهاتهم الشخصية دون فرض أي انتماء عليهم، غير أن أغلب مريدي الطريقة القادرية ينتمون سياسيا لحزب الأمة، وهذه تعود للعلاقة القديمة بينهما، حيث ناصر أبناء البيوت القادرية الثورة المهدية ودخلوا معها في صراعها مع الحكم التركي المصري، رغم أن لمشايخ الطريقة القادرية مساهمات سياسية كبيرة وفعالة في كثير من سياسات أنظمة الحكم المتعاقبة على السودان، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو من باب من رأى منكرا فليغيره، والصوفية يغيرون المنكر باللسان ولا يحملون السلاح، هذه الثوابت دخلت بيوتات القادرية في السياسة، كما أن الزعامات القادرية التي انخرطت في السياسة جاءت اتباعاً لسنة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث كان في الأصل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يجسد السلطات الثلاث: التنفيذية والقضائية والتشريعية.

ولكن بعض بيوتات الطريقة القادرية كانت لهم ميول في العمل السياسي، باعتباره لا يتعارض مع الانتماء للصوفية، ولقد اقترح الشيخ محمد أحمد القلع أبرز قيادات الطريقة البدرية القادرية وآخرون تسجيل حزب سياسي باسم (الطريق الإسلامي)[1]، بهدف تصحيح مسار

1 – للإطلاع على قرار مسجل التنظيمات والأحزاب السياسية بشأن تسجيل تنظيم سياسي، وبرنامج حزب الطريق الإسلامي. انظر للملحق رقم (1).

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

السياسة على النهج الاسلامي، لأن أهل الصوفية هم أول من أدخلوا الدين الإسلامي للسودان، وانتهاجا لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذى يعد السياسي الأول في العالم، فلدى دخوله المدينة قام ببناء المسجد ليدير منه كافة شئون المسلمين، الدينية والسياسية والاجتماعية وغيرها. ويذكر الشيخ محمد القلع أن رجال الطريقة القادرية يميلون للعمل الساسي منذ فترة طويلة، ولا يرون حرجا في الجمع بين الجانب الديني والسياسي، فلقد التحق الشيخ الطاهر ود بدر بالعمل السياسي في 1953م تقريباً، وكذلك الشيخ الفقيه عثمان ود بدر الذى حاول الاندماج مع الختمية وجذب الكثير من أهل الصوفية للعمل في المجال السياسي[1].

1 – لقاء مع الشيخ محمد أحمد القلع الشيخ عبدالقادر، أحد قيادات الطريقة البدرية القادرية ومؤسس حزب الطريق الإسلامي يوم الجمعة الموافق 16 يوليو 2010م. فى مقر خلوته الكائنة بالخرطوم وذلك عن تمام الساعة السادسة مساءاً.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الباحث بجانب الشيخ محمد القلع مؤسس حزب الطريق الإسلامي، ويتوسطهم الشيخ محمد الشيخ الطيب

الجد شيخ القادرية البدرية (شكل رقم 3)

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثاني : الطرق الصوفية في شمال وغرب السودان

الطريقة التيجانية

دخلت الطريقة التيجانية إلى السودان في حوالي منتصف القرن التاسع عشر، في دار فور وأم درمان والخرطوم وبعض المدن الأخرى مثل شندي والدامر والأبيض، ومنها مركز آل الحجاز بأم درمان، ولها مراكز في مدن جنوب السودان. "وتعد منطقة خرسي أول مركز للطريقة التيجانية في السودان، وقد تأس في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث قام سلاطين

الفور بإهداء منطقة خرسي للدواليب باعتبارها مركزاً تجارياً وتمتعت بالإعفاء من الضرائب، وذلك للاستقلال السياسي لأسرة الدواليب عن المقدوم المسلم نائب سلطان الفور على كردفان، ويمثل الشيخ محمد ود دوليب أول جيل تمثلت فيه السلطات السياسية والدينية والتجارية والتعليمية مجتمعة في غرب السودان، كما نجحت أسرة الدواليب في تدعيم مركزها وقوتها المادية والدينية في منطقة كردفان، مما مكنها من نشر الطريقة التجانية وسط معظم قبائل شمال كردفان الكبابيش والمجانين ودار حامد"[1].

وانتشرت الطريقة التيجانية بشكل موسع في غرب السودان، فأقيمت المدارس والخلاوي والمساجد التيجانية، وتشرب الكثير من أبناء دار فور الأوراد التيجانية، وتحتل الطريقة التيجانية صدارة الطرق في هذه المنطقة، وفيما بعد انتشرت في ثلاثة مراكز مشهورة هي: "مركز خرسي في كردفان ويقوم عليه أبناء الشيخ الدرديري الدولابي الركابي، ومركز في جزيرة أم جراجير قرب شندي يقوم عليه الشيخ محمد بن المختار الشنقيطي من بلاد الشناقطة ومركز في دنقلا ويقوم عليه الشيخ أحمد عبد الرحمن والشيخ أحمد المهدي السوارابي، وفى عام 1316هـ 1898م، أنشأ مدثر إبراهيم الحجاز مركزا رابعا بأم درمان للشيخ محمود ود البدوي، ومن التيجانية أيضا بعض شيوخ الهاشماب يرجع طريقهم إلى الشيخ المختار، وقد أسهم الكثير من هؤلاء الشيوخ في إنشاء معهد أم درمان العلمي، وكان الشيخ محمد بدوي نقد (1236هـ .

1 – ابن عمر عمر عبيد الله. يونيو 2007م. دور الطريقة التجانية في التواصل الاجتماعي في إفريقيا. *مجلة دراسات افريقية*: (الخرطوم – السودان). تصدر عن مركز البحوث والدراسات الإفريقية. العدد (37). السنة الثالثة والعشرون. ص 184.

1911م) أول رئيس لزاوية التيجانية، أصله من كردفان وتعلم بالأزهر الشريف وخلفه الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ثم الشيخ مدثر الحجاز ثم ابنه محمد المجذوب، وانتشر مؤخراً ما عرف بالنياسية التيجانية في كردفان ودار فور نسبة للشيخ إبراهيم نياس الكلوفي السنغالي"[1].

فمشايخ الطريقة التجانية لعبوا دوراً بارزاً في الحياة العامة في السودان، وتقلدوا العديد من المناصب القيادية في الدولة، وهذا دليل على المكانة العلمية البارزة التي يحظى بها التجانيون، حيث نالوا النصيب الأوفر في مجال العلوم الشرعية والفقه، وسجنوا أنفسهم لسنوات عدة في الخلاوي من أجل نهل العلم الشرعي، "حيث تولى القضاء منهم الشيخ سليمان بن الحجاز والشيخ حسن مدثر الحجاز أول قاضي لقضاة السودان، وكان الأستاذ محمد حجاز مدثر معطر سماء السودان بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، والولاية والحكم كانت للشيخ إبراهيم الحجاز وذلك إبان الحكم التركي، عندما كانت بربر وقتئذ مدخل العالم الإسلامي إلى السودان، قطنها الأتراك والمصريون، وتسمَّتْ مدن السودان علماً وحضارة وتجارة"[2].

وكان لرجالات الطريقة الصوفية التيجانية دور كبير في الجهاد ليس في السودان فحسب بل في العديد من الدول العربية والإفريقية التي انتشرت فيها التجانية، حيث قدموا أنموذجا للصوفية في الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن أوطانهم، ولقد وقف التيجانيون ضد الاحتلال

---

1 – جمال مصطفى على. مرجع *سابق*. ص 23.

2 – عبدالحميد محمد أحمد. ربيع الثاني 1423هـ. 2004م. *الفيض للشريعة والطريقة والحقيقة*: (الخرطوم– السودان). مجلة شهرية يصدرها المجلس القومي الذكر والذاكرين. العدد العاشر. ص 21.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الفرنسي للجزائر، الذي سعى بأقصى قوته إلى فرنسة الجزائر وشعبها، وكذلك وقف التيجانيون ضد الاحتلال الغربي للسودان وخاصة في منطقة دار فور في غرب السودان حيث تتواجد التجانية، والذين شكلوا قيادات الجهاد مع الثورة المهدية التى آمنوا بها باعتبارها ثورة وطنية تحررية، ولعب التجانيون دورا كبيرا في إعلان الحرب على الإنجليز والفرنسيين في دول الشام وفلسطين، وكان الشيخ عزالدين القسام أحد رموز المجاهدين التيجانيين في فلسطين.

لم تولى قيادات الطريقة التيجانية هتماما بالعمل السياسي، بل فضلت الاهتمام بالجانب الديني، إذ تعتبره الهدف الأسمى للطريق الصوفي، ولم يفكر مشايخها في الانتماء إلى السياسة أو الانضمام لحزب معين أو تكوين حزب مستقل خاص بأبناء التيجانية، حيث انضمت قيادات ومريدو الطريقة التيجانية، الذين أرادوا العمل السياسي إلى الكثير من الأحزاب السياسية حسب انتماءاتهم الشخصية وميولهم السياسي، كحزب الأمة والحزب الاتحادي الديمقراطي، اللذان يمثلان أبرز الأحزاب التي تحمل الفكر الصوفي. غير أن ذلك لا يعني أن الطريقة التيجانية كانت بمعزل عن السياسة بالكامل، إذ كان لهم إسهام في الحركة السياسية بطريقة غير مباشرة، مثل الشيخ محمد البدوي، فمثلا التجانية كانوا جزءا مهما في جبهة الميثاق الإسلامي بعد ثورة أكتوبر 1964م كجزء سياسي يمثلهم فيها الشيخ مجذوب الحجاز، والشيخ يوسف بقوى كان عضوا في البرلمان الذي ألغته ثورة مايو 1969م، أيضا

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الأستاذ كمال عمر الأمين شارك في العمل السياسي في حكومة مايو، كما تقد مناصب وزارية ودستورية وكان سفيراً للسودان في أكثر من دولة إفريقية"[1].

لقد أصبحت الطريقة التيجانية أحد أقطاب التصوف السني في العالم الإسلامي، والذي شارك في قيام الدبلوماسية الشعبية التى أسست قواعدها في القرن الإفريقي عامة وفي السودان خاصة، وبذلك "فإن دبلوماسية السودان في مجموعة الساحل والصحراء والقرن الافريقي أساسها التصوف السني السوداني، لقد حضر إلى سنار قبل حوالي ثلاث سنوات الشيخ علال الفاسي حفيد الشيخ أحمد التجاني للسودان بعد أدائه فريضة الحج وشاهد تنوع الناس العرقي الذين جمعتهم المحبة تحت لواء الطائفة، لقد انتقل موكب الشيخ علال إلى قرية ود هاشم ومايرنو والتقى بمقر السلطان محمد طاهر حفيد الشيخ عثمان دان فوديو، والتقى أيضا بالشيخ تجاني مبشر حفيد الشيخ عمر الفوتي الذي ألف في الفكر الإسلامي الصوفي السني ما يعادل كتابات الشيخ محيي الدين بن عربي في الصوفية العرفانية، والطريقة التيجانية عنصر وحدة بين الشعوب من السودان حتى المغرب وفاس ومكناس"[2].

كما كان لشيوخ الطريقة التيجانية دورا كبيرا ومشاركة بارزة في المطالبة بدستور إسلامي في فجر استقلال السودان بقيادة الشيخ مجذوب مدثر الحجاز أحد مشايخ التيجانية، رغم

---

1 - زينب الشيخ حمزة عمر. 2002م. *الطريقة التجانية في السودان:* (الخرطوم – السودان). رسالة ماجستير جامعة أفريقيا العالمية مركز البحوث والدراسات الافريقة. ص 66.

2 - عبدالرحيم حاج أحمد. 2006م. *الشيخ البرعي بدر أضاء الدجنة:* (أم درمان – السودان). الناشر مركز الأسباط للإنتاج الإعلامي للنشر. إصدارات الأسباط (8). الطبعة الأولى. ص 44.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المحاولات من الفئات المسيحية والعلمانية لوضع دستور علماني، إلا أن القوة الإسلامية وعلى رأسهم المتصوفة نجحوا في تحقيق وضع ذلك الدستور، إضافة إلى وضع اللغة العربية كلغة رسمية في البلاد. كما كان لقيادات ورجالات الطريقة التيجانية علاقات مميزة حتى خارج السودان عربيا وإفريقيا، ومشاركات دولية ومحلية، "لقد شارك السودانيون التجانيون في مؤتمر عالمي بعنوان: الطرق الصوفية: دور الطريقة التجانية تحت رعاية الملك الحسن ملك المغرب في 10 ربيع الثاني 1306هـ الموافق 23 ديسمبر 1983م، بمدينة فاس بالمغرب وشارك في المؤتمر عشرون شخصا سودانيا معظمهم من التجانيين، أما المؤتمرات الداخلية فأولها المؤتمر الخاص بالزاوية الكبرى الذي عقد في 17 شعبان 1372هـ يوافق أول مايو 1953م، بالخرطوم، وأيضا عقد مؤتمر في كردفان عام 1986م بقرية خرسي حضره عدد كبير من المشايخ في كردفان وفيه وضع دستور ثم هيئة للجان، ثم جمعية القانتات للنهضة الإسلامية هي جمعية سجلت عام 1996م لمساعدة المرأة السودانية التجانية لممارسة نشاطها كامرأة تجانية، كما كانت توجد جماعة صوفية بالمعهد التجاني القرآني بأمدرمان"[1].

والطريقة التيجانية كانت محور توظيف الدبلوماسية الصوفية في الخلاف السياسي بين الجزائر والمغرب في مطلع الثمانينيات، فكلاهما عمل على إدخال الطرق الصوفية عامة والتجانية خاصة في حلبة الصراع السياسي بين البلدين، فالجزائر التي ولد فيها الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية في مدينة عين ماضي، ترى أن هذه الطريقة كانت ولازالت

1 – زينب الشيخ حمزة عمر. مرجع سابق. ص ص 72- 73.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

جزائرية ولا يمكن تغيير هذه الحقيقة التاريخية، بينما ترى المغرب أن مؤسس التجانية ترعرع في مدينة فاس وشهدت الميلاد الفعلي للطريقة، وهي التي مات فيها، مما يعطى للمغاربة الأحقية في تكوين مركز لأهل الطريقة التجانية في جميع أنحاء العالم ورفضوا إدعاءات الجزائر التى ترى خلاف ذلك، فالمغرب تربطه علاقات قوية بالطرق الصوفية، فالممالك المغربية كانت لها رؤية متسامحة تجاه أهل الطرق الصوفية، وقدمت لهم يد العون وحاولت تقويتهم على التيارات السلفية المتنامية في بلاد المغرب العربي، فالحسن الثاني حال دون تحقيق دعوة الجزائر إلى عقد المؤتمر العالمي الأول للمنتسبين للطريقة التجانية، بينما تبناه المغرب بعد ذلك في انعقاده بمدينة فاس في مطلع الثمانينيات، والذي اعترف فيه زعماء الطائفة التجانية بمغربية الصحراء، وأدانوا موقف الجزائر منها، ونظمت المغرب الملتقى العالمي للتجانيين بمدينة سيدي شيكر بمدينة فاس، ومقابل ذلك ردت الجزائر بعقد مؤتمر دولي لزعماء الطريقة التجانية في بداية شهر نوفمبر 2009م، في قرية عين ماضي بمدينة الأغواط باعتبارها مسقط رأس الأب الروحي للتجانية الشيخ أحمد التجاني، وعادت الجزائر على إثرها إلى خلق علاقة مع الطرق الصوفية التي بدأت عند صعود أبوتفليقة للسلطة، الذي حظى بتأييد ومساندة من زعماء الصوفية في الانتخابات الرئاسية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الطريقة الإسماعلية

تعتبر الطريقة الإسماعلية من الطرق الصوفية التي انتشرت في السودان في منطقة البديرية وسكان الأبيض خلال القرن السابع عشر الميلادي، وساهمت أسوة بالطرق الصوفية الأخرى في نشر الدين الإسلامي في عدد من مناطق السودان، حيث فتحت الزوايا والخلاوي لحفظ وتلاوة القرآن الكريم وتعليم الفقه والعبادات، "تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ إسماعيل بن عبد الله الملقب بالولي، وهي أول طريقة صوفية سودانية، ومؤسسها كان صاحب خلوة للقرآن مشتغلاً به ومتفرغاً له، وتلقى الفقه وأصوله على يد بعض علماء عصره، حتى ذاع أمره في الأبيض والتقى بأستاذه بعد ذلك السيد محمد عثمان الميرغني عندما جاء للسودان موفداً من قبل أستاذه أحمد بن إدريس ومبشراً بتعاليم الطرق الخمسة نقشجم"[1].

وكان الشيخ إسماعيل الولي أحد تلاميذ السيد محمد عثمان الميرغني الختم، وتصوف وتعلم على يديه، "في عام 1823م استأذن شيخه في تأسيس طريقة جديدة، فأذن له وأسلم على يديه بعض القبائل الوثنية بجبال النوبة والتي هاجر إليها خوفاً من بطش الأتراك، ورجع إلى الأبيض والتفت حوله الآلاف من المريدين من قبائل كردفان وأهمهم البديرية وقبائل دار

1- الشيخ طه الشيخ الباقر. 1425هـ 2004م. موسوعة أهل الذكر بالسودان. *مرجع سابق*. ص 105.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حامد والفلاته وقد توفي الشيخ إسماعيل الولي عام 1865م، وخلفه السيد المكي الذي تعاون وانضم للمهدي في حصار الأبيض الشهير وقد حضر لأم درمان فيما بعد ومكث فيها"[1].

وبهذا فموقف مشايخ ومريدي الطريقة الإسماعلية من الثورة المهدية انقسم بين مؤيد ومعارض، والذي وضع فيها الشيخ إسماعيل في موقف حرج نتيجة لعلاقته الروحيه مع الختمية التي نصبت العداء للمهدية، وعلى أثر هذا الموقف السياسي دخلت الإسماعلية في انقسامات بين مشايخها، "لقد كان رد فعل الإسماعلية تجاه المهدية وتجاه الحوادث التي ميزت المراحل المختلفة لتطور المهدية محكومة بارتباطاتهم القبلية، وبولائهم الديني والروحي، كما تأثروا باتجاهات بعض الأفراد المرموقين من بينهم، لقد أظهر البديرية التى تنتسب إليهم عائلة الشيخ إسماعيل تأييدا قويا وحماسا للمهدية منذ ظهورها، لقد كان قادتهم الدينيون المشهورين مثل الشيخ عبد الرحيم بن بدوي، والسيد المكي بن الشيخ إسماعيل من بين أنصار المهدي وكان رجال القبائل من البديرية من أوائل المجموعات التي أخذت تقوم بغارات ناجحة ضد القوات الحكومية في أبو حراز والبركة وفي مواضع حكومية طرفية مماثلة في كردفان"[2].

بالرغم من أن الطريقة الإسماعيلية لم تمارس السياسة بشكل مباشر، إلا أن بعض الشخصيات الإسماعلية انخرطت في العمل السياسي بشكل مستقل أوبتحالفاتهم مع القوي

---

1 – قاسم عثمان نور. 2007م. *أوراق سودانية الكتاب التاسع:* (الخرطوم – السودان). الناشر مركز قاسم لخدمات المكتبات للطباعة والنشر والتوزيع. ص 17

2 – محمد عبدالله إبراهيم. ذو القعدة 1429هـ نوفمبر 2008 م. *تاريخ الطريقة الإسماعيلية:* (الخرطوم – السودان). الناشر المجلس القومي للذكر والذاكرين الأمانة العامة. الطبعة الأولى. ص 67.

السياسية المؤثرة، وكان لها نشاط ملموس واتخاذ مواقف تجاه الصراعات الداخلية بين الطرق الصوفية بزعامة الختمية والمهدية، وقاموا بدور مؤثر في تأسيس مؤتمر الخريجين في سنة 1938م، كأول مؤتمر نقابي سياسي ضم الشرائح الأكاديمية في البلاد، وتقلد قيادات واتباع الطريقة الإسماعلية عددا من المناصب السياسية، كالرئيس إسماعيل الازهري أحد أحفاد الشيخ الولي إسماعيل، وتقلد السيد إسماعيل بن أحمد الأزهري منصبا مرموقا كقاضي للسودان خلال الفترة 1869 – 1949م.

إضافة إلى أن مشايخ الطريقة الإسماعيلية فشلوا في تحقيق توجه واضح يسير عليه أتباع الطريقة لممارسة دورهم السياسي، أو رسم خط سياسي لأهل الطريقة من قبل زعيمها ليكون مرجعا سياسيا لها، بدلا من يتوزع مريدوها بين عضوية الأحزاب السياسية، وفي مقابل ذلك "رفضوا حتى ربط أنفسهم بواحد من المجموعات السياسية الصاعدة وقتها: المهدويون أو الأشقاء المراغنة، إن فشل قادة الإسماعلية في فهم طبيعة الاتجاهات السياسية أو تقدير مدي أهميتها قد تركهم في وضع مربك ولم يستطيعوا حتى التوحد خلف زعيمهم كقوة، وفي غيبة فكرٍ جامع أو توجهات واضحة صار قادة الإسماعلية وأتباعهم يكيفون ولاءهم السياسي تبعا لقرارات فردية واستجابة لدواعي محلية دون أن تكون هناك نظرة قومية شاملة"[1].

1 – محمد عبدالله إبراهيم. مرجع سابق. ص 107.

تتمركز الطريقة السمانية[1] في وسط السودان، ومدينة ودمدني وهناك مراكز أخرى في غرب أم درمان، وأم مرح وطابت وود نوباوي، وعرفت الطريقة بالطريقة السمانية الطيبية، ودخلت إلى السودان عن طريق الشيخ أحمد الطيب بن البشير بن مالك ين محمد بن سرور بن غناوة بنت أحمد بن إدريس بن رباط الجعلي، وأول مدينة استوطن فيها "أم مرحى التى تبعد خمسة أميال شمالي أم درمان، وكان قد انضم إلى الطريقة عن طريق الشيخ محمد بن عبد الكريم (1718م- 1775م) السمان في المدينة أو عن طريق خليفته أثناء رحلة الحج، وقد عاد إلى السودان في عام 1800م وحصل على قطعة أرض في أم مراحي سعيد، ولقيت هذه الطريقة قبولا لدى الكواهلة والحلاويين، وانتشرت على ضفاف النيل الأبيض، وتمددت في مناطق كردفان بعد أن آمنت بمبادئها قبيلة هامار Hamar هناك وانضمت إليها قبائل البقَّارة قبل تحولهم إلى الدعوة المهدية"[2].

1 – من أشهر مراكز الطريقة ببادية كردفان الشيخ الأديب محمد وقيع الله البرعي أبرز رموز الطريقة، والبروفيسور حسن الفاتح قريب الله وأخيه البروفيسور الطيب الفاتح والشيخ محمد حسن الفاتح قريب الله الذى يقود الطريقة بأم درمان، وفى الخرطوم بحري اشتهر الشيخ زين العابدين وابنه الشيخ الشعراني، وفى سنار وسط السودان اشتهر الشيخ محمد الصابونابي وأبناؤه وفي جبل الأولياء جنوب الخرطوم عُرِفَ الشيخ الياقوت، والشيخ عبد المحمود نورالدين الدائم بالجزيرة وسط السودان.

2– عبدالله عبدالرازق إبراهيم. 1410هـ . 1989م. *أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية:* (القاهرة – مصر). مكتبة مدبولي. ص 141 ص 142.

وانتشرت الطريقة السمانية بشكل متسارع في مناطق متفرقة[1] في السودان، حيث فتحت الخلاوي والمدارس الدينية لتعليم القرآن الكريم والفقه، وتكونت المدن والقرى التي حملت أسماءهم، وأصبحت مراكز السمانية، تعج بالمريدين فأنشئت المدارس التعليمية والدينية والمستشفيات، نتيجة لنفوذ مشايخهم النافذ وعلاقاتهم بصناع القرار السوداني، فقد أصبح للشيخ دور اجتماعي وديني في المنطقة التي يقطنها، فهو المحامي والقاضي والضابط الاجتماعي، والمحور الذي يلتف حوله أفراد المنطقة. وقد ساهمت الطريقة في حل الخلافات القبلية في المناطق التي يقطنون فيها، إذ نادرا ما تصل قضية إلى محكمة قضائية أو قسم شرطة.

فالطريقة السمانية ونتيجة لانتشارها القوي في الوسط الشعبي تمكنت من مقاومة الاحتلال التركي، وباعتبارها طريقة وافدة من خارج السودان، لذا ربما كان لها أتباع ومريدون حتى وسط الأتراك أنفسهم وليس أدل على ذلك من أن الشيخ أحمد السلاوي، الذي كان قد أتى قاضيا لقضاة السودان في العهد التركي، كان يعتقد في الشيخ أحمد الطيب البشير زعيم الطريقة السمانية اعتقادا قاده لمصاهرته وأخذ الطريق عنه، وهناك عامل آخر كان له أثر كبير على موقف الطريقة السمانية في العهد التركي، وهو تلك الزيارة التي قام بها الشيخ أحمد

1 – تفرعت الطريقة السمانية فى أقطابها الكبار كالشيخ محمد توم ودبانقا والشيخ القرشي والاستاذ محمد شريف نورالدائم بأمرحي والشيخ قريب الله بأم درمان، والشيخ عبد المحمود بطابت وبالنيل الازرق أشتهر الشيخ طلحة الفلاتي والشيخ محمد الصابونابي والشيخ حمدان هجو وبالنيل الابيض اشتهر الشيخ محمد بربر والشيخ محمد ود مضوي والشيخ حمر بالكريدة، وفي كردفان محمد وقيع الله والد الشيخ البرعي وبمنطقة جبل أولياء الشيخ ود قيد ولي ومن أحفاده الشيخ الياقوت الشيخ محمد.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الطيب البشير زعيم الطريقة في السودان إلى مصر، والتي استطاع أن يضم فيها العديد من الأتباع والمريدين الذين أتى جزء منهم بعد الغزو التركي للسودان ليعملوا موظفين تابعين للإدارة التركية[1].

لقد تباينت المواقف بين مشايخ السمانية بين المؤيد والمعارض للثورة المهدية، حيث وقف الشيخ محمد شريف نور الدائم ضد المهدية ورفض دعوة المهدي الذي كان أحد تلاميذه وطرده من الطريقة بعد خلاف قوي بينهما، وتحالف مع الأتراك ضده، معلناً تأييده المطلق لخلافة السلطان العثماني، وطالب بضرورة القضاء على الثورة المهدية وكانت إحدى قصائده تؤكد على موقفه هذا فيقول في ختامها:

"ونمحو ضلال المفسدين بهديهما وننصر الشرع الشريف على المنكر

ونهدي الصراط المستقيم بنورها ونوعد أصحاب الحكومة بالنصر"2.

إلى جانب ذلك قام عدد من مشايخ السمانية بمناصرة المهدية ووقفوا في وجه الحكم التركي المصري، واعتبروها ثورة وطنية إسلامية، ومن الذين "اشتركوا مع المهدية في حروبها الشيخ الشريف أحمد ود طه في منطقة بين أبي حراز ورفاعة، وقد التفت حوله جموع من قبائل البطاحين وبعض الشكرية والجعلين، وغيرهم من سكان المنطقة... وأيضا الشيخ عبدالقادر أبو الحسني من اليعقوباب، والشيخ مصطفى الأمين ود أم حقين بالجزيرة اسلانج فجمع نحو

1 – رابعة على عثمان. *مرجع سابق*. ص 77.

2 – *المرجع نفسه*. ص 79.

2000 رجل ونزل خور شمبات فحاصر أم درمان من جهة الشمال..وشارك المنا إسماعيل وهو من مشايخ السمانية ومن أعيان الجوامعة في نصرة المهدي، ومن مراكز السمانية التي أسهمت في تقديم العون للمهدية مركز الشيخ برير في شبشة، وظلت مراكز أخرى للطريقة السمانية بعيدة حيال مايجري طيلة عهد المهدي والتزمت الحياد، مثل مركز الشيخ عبد المحمود في طابت، وقد عبر عن رأيه في المهدي بأنه شخص كثير الأدب مع مشايخه كثير الاحترام لهم"[1].

والآن تعد الطريقة السمانية من أكثر الطرق انتشاراً في كثير من مدن السودان، بل انقسمت إلى بيوتات وتحمل أسماء شخصيات صوفية مؤهلة وعلى درجة عالية من التعليم، حيث يوجد الشيخ الفاتح قريب الله في أم درمان والشيخ الجيلي الشيخ عبد المحمود زعيم الطريقة في طابت، وغيرها من البيوتات، فضلاً عن أن زعماء بيوتات الطريقة السمانية معرفون ومشهورون بالمؤلفات، والاهتمام الأدبي الصوفي والعلمي، إذ تعد من أوائل الطرق التي تستحوذ على عدد كبير من المتعلمين والمثقفين على عكس بعض الطرق الأخرى التي لم تؤرخ تاريخها ونضالها ودورها الجهادي والسياسي في السودان، فمثلا المرحوم الأستاذ الدكتور الفاتح حسن قريب الله له أكثر من مائة كتاب بعناوين مختلفة، وغيره ممن يحملون مؤهلات عليا،

1 – طارق أحمد عثمان. 1421هـ 2000م. *الطريقة السمانية وأثرها الديني والاجتماعي في السودان منذ دخولها في سنة 1766م وإلى سنة 1955م*. رسالة دكتوراه. جامعة إفريقيا العالمية مركز البحوث والدراسات الإفريقية قسم الدراسات الإفريقية. ص 213.

حيث غيروا صورة الآخذ القديم على الصوفي الكسلان وغير المثقف، وتعتبر السمانية أحدثتْ نقله نوعية لتغيير صورة الصوفية الجديدة.

أما السياسة عند السمانية فكانت لها ميول متجذره في أذهان قياداته منذ القدم، حيث تتوفر المؤهلات السياسية عند السمانية، وخاصة أن زعامتها ذات مؤهلات علمية ويجمعون بين العلم والتصوف، فاقترح الشيخ محمد شريف نور الدائم أحد زعماء الطريقة السمانية (1908م) مشروعا سياسيا، حيث عمد إلى مخاطبة جمع من قادة الصوفية في السودان عارضاً عليهم عملاً موحداً لإنشاء سلطة بديلة عن الأتراك في السودان أي دولة صوفية وطنية مكان الحكومة الفاسدة الخديوية، لتكون تابعة رمزا للخلافة الإسلامية العثمانية، ولكن اعترض عليه شقيقه الشيخ عبد المحمود نور الدائم معتبرا ذلك دعوة للسعي وراء السلطة[1].

إضافة إلى ذلك سعى أهل السمانية إلى تأسيس الحزب الطيبي السماني القومي من أجل التغيير والحداثة والإصلاح حتى يضطلع بدوره السياسي جنبا إلى جنب مع دوره الديني، الذي أسسه الشيخ أحمد الطيب البشير منذ القرن الثامن عشر الميلادي، فقد ظل أحفاد الشيخ أحمد الطيب يمارسون العمل السياسي تحت مظلات أحزاب السودان المختلفة ومازالوا على ذلك، علما بأن الطريق الطيبي السماني يملك قاعدة جماهيرية كبيرة وعظيمة لا تقل عن أكبر الكيانات التي ظلت تقود وتحكم البلاد منذ فجر الاستقلال، ولما للبيت الطيبي أو من

1 – فكرة المهدوية في الثورة الوطنية السودان عبد الله صالح سفيان باحث في الفلسفة – السودان http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/ADAD4partie3.htm يوم الجمعة الموافق 18 يوليو 2010 الساعة الثانية عشرة وخمسون دقيقة ليلا .

مريدي أو أحباء الطريق الطيبي من خبرات عملية وعلمية متميزة في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية ما يؤهلهم للإسهام في نهضة البلاد[1].

الطريقة المجذوبية

قام بتأسيس هذه الطريقة الشيخ قمر الدين المجذوب في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وبعد ذلك انتشرت في شمال وشرق السودان وتحديدا منطقتي سنكات والقضارف، وكان لهم عناية بعلوم الشريعة والفتاوى والأحكام والفصل في الخصومات، فبرز منهم الشيخ محمد نور ود ضيف الله كاتب مخطوط الطبقات، وفتحوا الخلاوي، وتخرج منها عدد كبير من طلاب العلم وحفظة القرآن الكريم، "والمجذوبية طريقة سودانية متفرعة عن القادرية والشاذلية ولها أتباع في إقليم النيل الأوسط حول الدامر ثم إلى الشرق في اتجاه نهر عطبرة حتى البحر الأحمر، وكان لهم نفوذ قوي في سواكن بفضل مثابرة محمد المجذوب بن قمر الدين الذي ركز نشاطه هناك بعد عودته من الحجاز في 1830م، ولما جاء الختم ضغط على أتباعه واستمال عددا كبيرا منهم، ومازال الختمية يسعون بجد حتى سيطروا على المدينة بينما انحسر نفوذ

1 – محمد المعتصم ابراهيم. الحزب الطيبي السماني القومي أسرار وخفايا واستهداف الانقاذ. منبر السودان الجديد 2000م. http://www.newsudan.org/vb3/showthread.php?t=17246 تاريخ الاقتباس يوم السبت 9 االكتوبر 2010م الساعة التاسعة صباحا بتوقيت كوالالمبور.

المجاذيب إلى بعض البوادي، وخاصة في أركويت، وقد اشتدت المنافسة وقويت الخصومة، ولما جاءت المهدية ناصرها المجاذيب وصاروا حربا على الإدارة المصرية وعلى الختمية معا"[1].

فالمجذوبية أسست بعض المدارس الدينية في عدد من مدن السودان مثل القضارف والدامر، واعتمدت في تعليم مريديها على الفقه الإسلامي، وتعتبر من أبرز الطرق الصوفية التي أسهمت في نشر الإسلام الصوفي أو الشعبي الخالي من البدع والخرافات، ومن ناحية أخري "فالمجذوبية كغيرها من الطرق الصوفية عملت علي إلغاء العصبية بين القبائل، كما أنها أعدت النفوس لتقبل الدعوة الإسلامية. وخلاوي المجاذيب قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والعلوم الفقهية وحفظ القرآن الكريم في السودان، وبدأت الخلاوي كنشاط تعليمي وهي تعتبر أساس النظام التعليمي الجذوبي ويطلق عليها نار القرآن، وبدأت كنشاط منظم في عهد حمد بن عبد الله مؤسس الدامر، والذي كان يقوم بتدريس صبية الرعاة وأهالي الدامر دروس القرآن الكريم، وبعد نمو مدينة الدامر توسعت الخلوة وأصبحت تضم بين أحشائها طلاباً من مختلف بقاع السودان"[2].

وتعتبر الطريقة من أبرز الطرق نشاطا اجتماعيا وسياسيا قبيل الحركة المهدية، فلقد ارتبطت بعلاقات متينة وتحالفات سياسية بالثورة المهدية، فمنذ انطلاقتها الأولى صدقوا بدعوة

---

1 - محمد إبراهيم أبو ليم. 1412هـ 1992م. *بحوث في تاريخ السودان (الأراضي – العلماء – الخلافة – بربر – علي الميرغني)*: (بيروت – لبنان). دار الجيل للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ص ص 166- 167.

2 - أماني أحمد عثمان سيد أحمد. 1416هـ 1995م. *التصوف عند شعراء المجاذيب*. رسالة ماجستير في الآداب جامعة الخرطوم. ص30.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المهدي وأعلنوا له التأييد والمبايعة، وكان الشيخ عثمان دقنه أبرز المشايخ الذين ساعدوا المهدي في محاربته للختمية في شرق السودان، ودخلت المجذوبية في حروب دامية مع الختميين فى معقليهما في شرق السودان وبمساندة الإمام المهدي، فقتل وتشرد فيها العديد من أهل الشرق وخاصة من المجاذيب والختمية، ونتج عنها بسط المجاذيب سيطرتهم على أغلب مناطق نفوذ الختمية في شرق السودان، حيث عبر عنهم محمد عثمان الختم غاضباً عن المجاذيب بقوله: " حتى ظهرت هذه الفتنة الشنيئه – يقصد الشنيعة- والبلية الابتداعيه- يريد بذلك المهدية – فبمجرد ظهورها تصدروا لها – أى المجاذيب – وقادوا زمامها وقاموا فيها بأعظم الهمة وصاروا لها قادة وأئمة وأهلكوا العباد وخربوا البلاد وأظهروا في الأرض الفساد فضلوا واضلوا فسلط الله عليهم الحكومة المصرية فخربت ديارهم ومحت آثارهم بسواكن فخسروا الدنيا والآخرة"[1].

إن دخول طريقة المجاذيب في حلبة الصراع الدائر آنذاك بين الختمية والمهدية الذي ساد فترة من الزمن، رغم ما حققته من مكاسب معنوية جراء هزيمتها للبيت الختمي في شرق السودان وذلك بمساندة أنصار الإمام المهدي، فإنه انعكس سلبا على المجاذيب بعد مقتل السيد محمد المهدي في معركة التيفوس في 22 يونيو 1885م وإنهاء حركته بشكل نهائي على يد الجيش الإنجليزي، حيث فقدوا المجاذيب حليفا رئيسيا واستراتيجيا، ووجدوا أنفسهم أمام

1 – طارق أحمد عثمان. 1996م – 1997م. طائفة الختمية ودورها الديني والسياسي في السودان في الفترة من 1881م – 1955م. *مرجع سابق*. ص 113.

قوة ختمية ذاقت مرارة الظلم في عهد المهدية، وعادت بكل قوة على استرداد قوتها والعمل على عودة هيبة الختميين في شرق السودان وغيرها، فعمل الختمية على مطاردة قيادات المجاذيب والاستحواذ على مريدي الطريقة بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، مما أضعف طريقة المجاذيب في شرق السودان وأصبح أثرها ضئيلا حتى في المجال الدعوي، "فالبيت الميرغنى بما امتلك من امكانات علمية وتاريخية، ومقدرات ترجع إلى الذين نشروا وأرسوا طريقة هذا البيت، استطاع أن يحصل على الجزء الأوفر من ولاء السودانيين بل غيرت من ولاءات عدد من الأسر السودانية المعروفة بانتماءاتها القديمة لتدخل في سلك الطريقة الختمية الوافدة، لقد كان المراغنة من الأشراف الذين يحترمهم الناس ويحبونهم، ويعتقدون فى بركتهم وصلاحهم، بينما كانت أسرة المجاذيب أسرة سودانية، وعلى رغم من مكانتها في قلوب السودانيين، إلا أن موقف المراغنة الأشراف أقوى منهم في نظر السودانيين"[1].

انتشرت الطريقة الختمية في مناطق نفوذ الطريقة المجذوبية ما أدى إلى تقلص نفوذها خاصة بين قبيلة البشاريين في شرق السودان والتي صارت موزعة بين الختمية والمجذوبية. وقد تركت حادثة هدم ضريح الشيخ المجذوب بالدامر أثرا سيئا في نفوس أتباع الطريقة المجذوبية وغرست فيهم كراهية الإدارة التركية المصرية والمتعاونين معها وعلى رأسهم زعماء الطريقة الختمية، واستمر الحال كذلك خلال الفترة المهدية حيث تكاتف معها المجذوبية بينما ناصبها الختمية العداء.

---

1 - المرجع نفسه. ص 89.

"ولم يكن إذا من بد من الحلف بين المهدية وبين المجاذيب، وكان لا بد أن يختلف المراغنة عنهم وأن يقفوا موقف المعارضة للمهدية خاصة وقد قاد أتباع المجاذيب من أمثال عثمان دقنة والشيخ الطاهر المجذوب الثورة في الشرق، فالواجهة أصبحت مجذوبية، ولما جاء الحكم الثاني عانى المجاذيب من هذا الموقف، ولولا أن طريقتهم لها سند أسري وقبلي لما قويت على المقاومة، وإلى اليوم فإن المجاذيب يقفون في الطرف المناوئ للختمية حتى في التشكيلات السياسية المعاصرة"[1].

لكن الطريقة المجذوبية ظل تأثيرها محدود في السودان سواء في الجانب الديني أو الاجتماعي أو السياسي، وذلك لقلة مريديها وأتباعها رغم قدمها وإمكانات مؤسسيها ودورهم في نشر العقيدة الإسلامية والأوراد الصوفية، حيث ضعفت أمام التنافس الصوفي في أقاليم السودان ولا تستطيع أن تصمد أو تحتفظ بمريديها أمام الطرق الصوفية الأخري، بل ظلت تتقاسم مناطق نفوذها مثل السمانية في الجزيرة والختمية في شرق السودان.

الطريقة الشاذلية

تنسب الطريقة الشاذلية إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي المولود في تونس عام 1196م، ودخلت السودان في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر، وانتشرت في شماله ووسطه إلى جانب الطريقة القادرية، وقد دخلت على يد الشريف حمد أبي دنانة صهر الشيخ

1 – محمد إبراهيم أبو سليم. *مرجع سابق*. ص 168.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الجزولي[1]، وهناك رواية أخرى تفيد أن أول من أدخل الطريقة الشاذلية إلي السودان "الشيخ عبد الله الشريف من مواليد فاس وأسس فرعاً لها بالحلفاية في أوائل القرن الثاني الهجري، وتولى خلافة الطريقة بعد ذلك الشيخ خوجلي بن عبد الرحمن بن إبراهيم (1055- 119هـ)، كما أن الشيخ حمد المجذوب (1693م – 1776م) أسس فرعا لها بالدامر بعد عودته من الحجاز حوالي 1149هـ وقد انقسمت الطريقة الشاذلية إلى عدة فروع، إلا أن الطائفة المجذوبية أصبحت أشهرها، وتولى أفرادها الزعامة الروحية والتعليمية لعموم الطائفة وأتباعها في بربر والدامر ومنطقة جبال البحر الأحمر وزعيمها الحالي بالدامر هو الشيخ محمد المجذوب جلال الدين وبمنطقة البحر الأحمر الشيخ قمر الدولة المجذوب وسميت بالطائفة المجذوبية"[2].

ووصفت الشاذلية "بأنها انتماء صوفي أكثر من كونها طريقة رسمية لأن الشاذلي لم يدخل أتباعه في أي مجموعة رسمية من الأحكام والطقوس، ونتج عن الافتقار إلى طريقة منظمة نمو فروع عديدة للشاذلية وسط أتباعه، وهذا هو السبب في وجود الشاذلية في معظم أنحاء العالم الإسلامي كطرق محلية، يبدو أن الشاذلية ظهرت في بعض أنحاء السودان قبل القادرية، وكان انتشارها في السودان صنيع عدد من الأفراد المستقلين، كما أصبحت تعاليمها أكثر انتشارا من تعاليم القادرية، ومثل الطريقة القادرية، فقد مثلت الشاذلية في السودان،

---

1 – يروى أن الشيخ خوجلى كان لا يقوم لأحد من الملوك أو السلاطين ولا يزورهم في اماكنهم، ولا يكاتبهم، أو يرسل اليهم، واذا سأله أحد شفاعة عند هولاء الملوك، يقول له من عادتى أنْ لا أطلب سلطانا لشفاعة، ولا ارسل له تلميذاً من تلامذتي، ولا واحدا من ابنائي، ولكن الشيخ خوجلي كان على الرغم من ذلك، يقابل من الملوك باحترام واجلال، واكيار، مخافة أن تضر سؤ معاملتهم له، بمكانتهم ضد الشعب، باعتباره زعيماً، ذا أتباع كثيرين ومريدين لا يحصون، وكانوا ما زاروه وجلسوا بحضرته يكونون كا لأطفال من هيبته. للمزيد من الاطلاع حسن محمد الفاتح قريب الله. رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير. مرجع *سابق*.

2– قاسم عثمان نور. مرجع *سابق*. ص 15.

بعدد من الفروع المستقلة، لكل منها سند مميز، والعلاقة ضئيلة بين كل فرع والآخر، ووفقا للطبقات فإنها أول طريقة دخلت السودان"[1].

ففي الجانب الديني تعد الطريقة الشاذلية من الطرق البارزة في تحقيق الهدف الديني الذي أقيمت من أجله الطرق الصوفية، فلقد عمل مشايخها على الثبات في هذا الطريق، فأغلب مشايخ الشاذلية لا يحبذون الظهور الاجتماعي والسياسي والذى يعتبرونه من باب الرياء والشهرة، فظلوا معتكفين في المساجد والمساجد في تدريس القرآن الكريم والفقه، ولعبت الشاذلية دورا كبيرا ومقدرا في تكوين الثقافة السودانية، "فمنذ بواكيرها تأسست أول إمارة إسلامية في السودان بعد زوال دولة المقرة المسيحية في 1323م وهى إمارة بني كهف، فقد أنشأها الإمام الجليل غلام الله بن عائد القادم من اليمن أول خلوة بمدينة دنقلا لتحفيظ وتدريس علوم الدين الإسلامي، ووفد أيضا الصوفي حمد أبودنانة الذي استقر في منطقة المحمية وعمل على إدخال الطريقة الشاذلية في السودان، فوضع الإثنان اللبنات الأولى في نشر الدعوة الإسلامية، وقد نهل على أيديهم خلق كثير من السودانيين حتى تآكلت الممالك المسيحية في شمال السودان بما تحمل من تلاقح عرقي وتمازج ثقافي نوبي عربي متوازن ومتكافئ وأن تقترب كثيراً من بلورة الهوية الثقافية للسودان"[2].

---

1 – فدوى عبدالرحمن علي طه. 2002م. *الطرق الصوفية في السودان* بحث تكميلي لنيل درجة ماجستير الآداب في الترجمة بكلية الآداب بجامعة الخرطوم. ص 33.

2 – عطا محمد أحمد كنتول. 2008م. *التصوف وأثره في تشكيل الثقافة السودانية:* (الخرطوم – السودان). دار عزة للنشر والتوزيع. أوراق وتوصيات المؤتمر الأول للدراسات الفكرية للتصوف في السودان، ص 71.

الطريقة الإدريسية

تنتمى الطريقة الإدريسية إلى الشيخ أحمد بن أدريس بن محمد بن على[1]، حيث بدأت مدرسته من مدينة فاس بالمغرب في أواخر 1797م، " وقد ارتبط دخول الإدريسية للسودان بدخول السيد عبد المتعال بن الإمام أحمد[2] بن إدريس وابنه السيد محمد الشريف، وذلك مطلع عام 1295هـ 1878م، عندما وصلا إلى شمال السودان عن طريق مصر وهو في طريقه إلى صبيا باليمن، آنئذ لزيارة قبر والده السيد أحمد بن إدريس رضى الله عنه، إلا أن معرفة أهل السودان بالإمام أحمد بن إدريس وبطريقته ومدرسته قد سبقت هذا التاريخ بكثير، ذلك عندما زار السيد محمد عثمان الميرغني السودان موفدا من أستاذه السيد أحمد بن إدريس لنشر الإسلام والطريقة الإدريسية وذلك سنة 1232هـ 1816م وكذلك عن طريق الشيخ إبراهيم الرشيد الدويجي والشيخ محمد المجذوب رضي الله عنهم"[3].

---

1 – يقول صاحب كتاب الطبقات: حمد ابن الشيخ إدريس الأرباب ولي الخلافة بعد أبيه وقام مقامه في الهيبة والقبول والسكينة والوقار والشفاعة وحجز العرب والفونج، إلا أنه زاد في النفقة على زمن أبيه الشيخ إدريس، وقلل من العطاء، فإن الشيخ إدريس جميع الدخلة عليه يأخذها العشام ومن حضر والنفقة قداحته فيها ستون قدحا وقتا تكون بالملاح ووقتا تكون بالماء وهى عصيدة مسيوطة فى البرام خميرة ونحيضة ودقاقة الماء فوقها مثل المرق فلما ولي ولده الشيخ حمد كتر الكسرة والذبح وقلل العطاء قداحته مائة وعشرون والكسرة سواها سن سن، *مرجع سابق*. ص 78.

2 – السيد أحمد بن إدريس لم يؤسس طريقة صوفية بالمعنى المتعارف عليه للطريقة، وإنما أسس مدرسة تميزت بالإيجابية والاهتمام بالدعوة والفكر ولم يكن همها مقصوراً على تعاليم الأوراد والأذكار والحث على الخلوات والاعتكاف والبعد عن الناس والانقطاع عنهم، كان السيد أحمد يحث اتباعه على التقوى التى يراها لب الدين وروحه وسبب الرحمة ويحرضهم على الموازنة بين الدنيا والآخرة، وقد أولى أمر الدعوة عناية خاصة، فنجده يشجع تلاميذه لنشر تعاليمه فى المناطق التى تقطنها القبائل والجماعات الوثنية وغير المسلمة كبعض مناطق شرق إفريقيا وغربها. *المرجع نفسه*. ص 66.

3 – الشيخ طه الشيخ الباقر. 1425هـ 2004م. موسوعة أهل الذكر بالسودان. *مرجع سابق*. ص 104.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وانتشرت الطريقة الإدريسية بشمال السودان تحديدا بمدينة دنقلة وأم درمان، إضافة إلى بعض المدن السودانية. وتعتبر طريقة السيد أحمد بن إدريس، بالإضافة إلى الطريقة السمانية والتيجانية الذين دخلوا السودان، "ضمن موجات التغيير العاتية التي اجتاحت العالم الإسلامي منذ بداية القرن الثامن عشر، لقد استطاع هؤلاء الرجال وقد برزوا في فترة زمنية واحدة تقريبا، ليس كأولياء ورجال صالحين فقط، وإنما شمل إرشادهم وإصلاحهم الديني والاجتماعي مجتمعات عديدة، وقدموا للمسلمين دعوة جديدة للتمسك بالدين والرجوع إلى منابع الفضيلة والأخلاق في القرآن الكريم والسنة، وقد تنامي نجم هؤلاء وتصاعد إلى أن بلغ ذروته في القرن التاسع عشر، ومازال باقيا إلى يومنا هذا"[1].

وساهمت الطريقة الإدريسية مساهمة فعالة في نشر الدين الإسلامي الحنيف في عدد من مناطق السودان، حيث أنشأت عددا من المساجد والخلاوي لتكون مراكز لتحفيظ القرآن الكريم وتعاليم الفقه والعبادات، "لقد لعب المسجد دورا بارزا في نشر تعاليم الطريقة الإدريسية في السودان، حيث أَسس أبناء وأحفاد السيد أحمد بن إدريس، بجانب كبار أتباع الطريقة، عدداً من المساجد بمنطقة دنقلا وأرقو وبيوض والترعة والقعب، وبمنطقة أمدرمان في كل من حي الموردة والعرضة والثورة، كما قام السيد محمود شداد، أحد كبار الأتباع، بتشييد مسجد

1 – طارق أحمد عثمان. 2009م. الطريقة السمانية في السودان. *مرجع سابق*. ص ص 123– 124.

بالخرطوم جنوب، وشيد المرحوم عبدالعزيز شروني مسجدا آخر بمنطقة الخرطوم نمرة اثنين، بينما شيد الحاج على المغربي مسجدا بحلفاية الملوك"[1].

فشيخ المدرسة الإدريسية ارتبط بشكل كبير، وهو معروف تاريخيا، بقيادة الجهاد ومقاومة الاستعمار الأجنبي، وخاصة في دول المغرب العربي، وعندما استقرت الإدريسية في السودان، ورغم حداثتها، ارتبطت بالكفاح الوطني السوداني في جميع فترات الاستعمار، وأيد أتباعها المهدية منذ انبلاجها حيث رأوا فيها ثورة وطنية مناهضة للاحتلال، وعلى إثرها وجدت نفسها مع خلاف قوي مع الختمية نتيجة لموقفها المؤيد للمهدية، إضافة إلى ذلك، فقد برز في تلك الفترة نزاع بين الختمية والطريقة الإدريسية في منطقة دنقلا، ويعزى هذا النزاع إلى نشر أبناء وأحفاد السيد أحمد بن إدريس لطريقتهم في مناطق نفوذ الطريقة الختمية ومحاولتهم جذب أتباعها، كما طالبوا بتبعية الختمية والسنوسية لطريقتهم وذلك استناداً على أخذ مؤسسيهما محمد عثمان الميرغني ومحمد بن على السنوسي عن السيد أحمد بن إدريس.

"ونسبة لميل الحكومة نحو الطريقة الختمية، فقد ظلت ترقب نزاعها مع الأدارسة ومنذئذٍ صارت ترصد نشاط زعماء وكبار أتباع الطريقة الإدريسية خاصة في مناطق نفوذ الطريقة الختمية، وازدادت العلاقة بين الحكومة الثنائية والأدارسة سوءا خاصة عقب موقفهم من مقتل علي دينار سنة 1916م، حين قامت زعامات جميع الطرق ما عدا الأدارسة بإرسال برقيات

1 – منى صالح كرار. ديسمبر 1977م. *أثر التعاليم الإدريسية في الطرق الصوفية في السودان*. بحث مقدم لنيل رسالة الماجستير في الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم. ص 94.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تهنئة للحكومة على ذلك الانتصار، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى قد اضطرت بريطانيا إلى تعديل سياستها نحو الأدارسة، وشهد مطلع الأربعينات من هذا القرن تدهورا جديدا في العلاقات البريطانية الإدريسية في السودان، وذلك لعودة الأدارسة لسياسة التدخل في المسائل الإدارية لمديرية دنقلا، لما أثاره من مشاكل وقلاقل للإدارة البريطانية هناك"[1].

أما في إطار العمل السياسي فتعتبر الطريقة الإدريسية من الطرق الصوفية التي ساهم مشايخها في بعض الأدوار السياسية، من خلال ما قاموا به، فمؤسس الطريقة الشيخ أحمد، "لم يكن بعيداً عن عالم السياسة ولكن صلته بها كانت من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناصحة الحكام ومعاداة الخلافة العثمانية، والابتعاد عن الظالمين، ولكنه كان مع ذلك مقلا في الكلام عن السياسة، لأنه لم يكن تابعا لحزب سياسي فيدافع عنه، ولم يكن متقلداً منصبا دينيا حتى يحرص عليه، ولم يعرف عنه أنه انتمى لطائفة دينية معينة حتى ينافح عنها، ويروج لأفكارها، وإنما كان سالكا طريق الصوفية، ويعمل في إطارها، ويتقيَّد بالكتاب والسنة، ويحتكم إليهما في كل أمور الدين والدنيا، ولا يرى للإنسان عاصما إلا بهما"[2].

ولقد انعكس الخلاف السياسي بين الختمية والأنصار على وحدة الطريقة الإدريسية التي حاولت بشكل كبير عدم الانغماس في العمل السياسي، حيث فضل قيادتها لتحقيق الهدف السامي للطرق الصوفية وهو نشر تعاليم الدين الإسلامي، لكن اسهمت "التفرقة السياسية في

---

1 – منى صالح كرار. *مرجع سابق*. ص 128.

2 – يحي محمد إبراهيم. 1413هـ 1993م. *مدرسة أحمد بن إدريس المغربي وأثرها في السودان*: (بيروت – لبنان). دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. ص 239.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تعميق شقة الخلاف بين الختمية والأنصار وامتد أثرها إلى بعض فروع المدرسة الإدريسية بالسودان، فقد ساند بعض زعماء الطريقة الإدريسية، كالسيد الحسن بن محمد بن عبد العال حزب الأمة، بينما وقف بعضهم كالسيد إدريس بن محمد عبدالعال بجانب الأشقاء، غير أن تلك المساندة كانت شخصية ولم تفرض مسارا سياسيا معينا على أتباع الطريقة"[1].

ونظراً للسند الشعبي الذى تتمتع به الطريقة الإدريسية فقد كانوا محل تقدير واحترام المراقبين للصراعات السياسية ذات المضمون الطائفي، وخاصة بين طائفة الأنصار والختمية، فكل واحد منهما حاول كسب تأييد زعامات الصوفية وخاصة ذات الثقل الشعبي والتي تحظى بمواقف وطنية لدى السودانيين، "وقد توزع ولاء وتأييد أتباع الطرق المنبثقة عن المدرسة الإدريسية بين الأحزاب السياسية المختلفة، فقد استمر السيد الحسن محمد عبد العال، شيخ الطريقة الإدريسية في ذلك الوقت، في مؤازرته لحزب الأمة حتى وفاته سنة 1968م، بينما واصل شقيقه السيد إدريس مساندته لحزب الشعب الديمقراطي وقد تبعه في ذلك بعض أتباع الطريقة"[2].

المطلب الثالث: الطرق الصوفية والعمل السياسي في السودان بين الرفض والقبول

اختلفت الآراء بين المؤيد والمعارض والمحايد بشأن العمل السياسي لأهل الطرق الصوفية عامة والسودان خاصة، فالمؤيد لا يرى ضيرا في ممارسة مشايخ وقيادات المتصوفة للسياسية،

---

1 – منى صالح كرار. *مرجع سابق*. ص 137.

2 – *المرجع نفسه*. ص 141.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

طالما أن ذلك لا يتعارض مع الروح الدينية التى تنتهجها الصوفية، فالممارسة السياسية للصوفية لم تكن جديدة أو ظاهرة لم تعرفها الصوفية من قبل، وفى هذا الصدد يشير الدكتور بابكر العفيف أن هناك علاقة تاريخية وقديمة بين التصوف الاسلامي والسياسة وليست وليدة اللحظة، لأن التصوف لما بدأ اعتنى بالبعد السياسي إلى الجانب الديني، وجذور التصوف مازالت تسوقها الحركات والثورات التى قادها أهل البيت ضد الدولة الأموية، والذين قادوا الحرب ضد الحكام الظالمين وكسبوها، وبعد ذلك تركوا أمر السياسة وانصرفوا إلى أمر الناس لهدايتهم إلى سبيل الرشاد، في مقابل ذلك عندما ترك أهل البيت من المتصوفة منازعة السلاطين تركهم السلاطين فأصبحوا يهتمون بإصلاح النفوس والسلوك البشري. إذا فترك الصوفية للسياسة في فترة ما كان نتيجة لقمع السلاطين وليس أصالة واختيارا، ويرى ضرورة أن يعود التصوف إلى الاهتمام بالأمور الحياتية والأمور السياسية والحكم الراشد والعادل، لأن المتصوفة أناس عملوا على زرع المحبة والرحمة، فهؤلاء الناس المتشبعون بالثقافة الإسلامية والرأفة بالفقير وبالضعيف ونجدة الملهوف كلها معاني في التصوف، أليس إسناد البعد السياسي لها سيفرز لنا سياسيين رحماء في قلوبهم رحمة واسعة بالعباد والبلاد[1].

فالطرق الصوفية في السودان منذ عهود سابقة لم تبتعد كثيرا عن الساحة السياسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فهناك رغبة لقيادات ومريدي الطرق الصوفية في الممارسة

1 – مقابلة مع الدكتور بابكر العفيف عضو بارز في حركة الجمهوريين يوم الخميس الموافق 22 يوليو 2010 م، في تمام الساعة الرابعة مساءاً بمكتبه الكائن في العمارات بالخرطوم.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

السياسية، ويرون ذلك حقا طبيعيا لكل إنسان بغض النظر على انتماءاته الدينية، كما أن السودانيين يهتمون بشكل كبير بالأمور السياسية ويتابعون التفاعلات السياسية داخليا وخارجيا. وكان العمل السياسي لافتا للنظر لدى أصحاب الصوفية في السودان منذ أن تكونت معالم التيار الصوفي بشكله الحالي، وهم من أسسوا أقدم الأحزاب السياسية تحت رعاية أكبر طائفتين: الختمية والأنصار، فكل واحد منهم أسس حزبا واعتبره الجناح السياسي للطريقة وتحت رعاية زعيم الطائفة، إضافة إلى انضمام قيادات ومريدي الطرق الأخرى، كقيادات الطريقة الهندية أو التيجانية والإدريسية والإسماعلية.

ويضيف الشيخ الطيب عبد الله أحمد أن من حق المتصوفة ممارسة السياسة لأن للتصوف وجودا وحضورا في الحراك السياسي في السودان منذ دخوله، ينهجون نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم في زهده وتواضعه وحبه للسالكين ورعايته وعنايته بأهل الصفة الذين كانوا يمثلون المنهج الصوفي مظهرا وجوهرا، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم في معزلٍ عن قيادة الدولة ووظائفها ومسمياتها القديمة والتي هي في مصطلحنا الحديث تلك الوزارات، كلها من منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك لم يكن للسادة المتصوفة أن يعزلوا الدين عن الدولة فهم أول من جاهد في السودان ضد الاحتلال الأجنبي للبلاد عبر مراحل متعاقبة، وجاهدوا بأنفسهم وبأموالهم، ثم أن لمشيهم على منهج الحق تعلق بهم الساسة ينورون لهم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الطريق في الدرب القاصد لله سبحانه وتعالى، لا تجد أحدا من الساسة إلا تجد له انتماءً لطريقة من الطرائق"[1].

فالصوفية في السودان تعتد الأبرز في العالم الإسلامي والعربي تقريبا، حيث لم تنفك من المجتمع، وأصبحت جانبا مهما يحتاج إليه الناس في تسيير أمورهم العامة والخاصة، فقد ظل المسيد في السودان يلعب دورا كبيرا في تشكيل الشخصية السودانية عبر الحقب التاريخيةِ المختلفة، ونجد أن المشايخ يؤدون دورا اجتماعيا كبيرا وسياسيا يتمثل في حل النزاعات ورأب الصدع بين الناس والقبائل، وهم مرشدون اجتماعيون ومصلحون، فالمسيد الذى هو مكان للعبادة، يحمل مضامين عامة ومتنوعة، فهو المسجد والخلوة ومكان إطعام الناس، سواء كانوا من الضيوف أو الزوار أو المقيمين أو حتى من طلبة العلم والمريدين والأحباب، ونجد في المسيد الاحتفالات والمناسبات المختلفة دينية واجتماعية وقومية.

ويرى البروفيسور مصطفى عبده أن المتصوف يجب أن يكون بعيدا عن السياسة لما فيها من تشوهات للصوفية وقياداتها، لأن السياسي عادة يظهر خلاف ما يبطن ولا ينطبق ذلك على الرجل الصوفي الزاهد المتسلح بقوة الإيمان، والمتصوف إنسان صادق مع نفسه ومع غيره، عليه أن يتعامل مع السياسة بصدق إذا أراد أن يقترب منها، ولا يندمج في السياسة بشكل كبير حتى لا يكون داخل القطيع، والمتصوف يجب عليه أن يتعامل مع هذه المجموعة

1 – مقابلة مع الشيخ الطيب عبدالله أحمد الإمام، مدير شئون الولايات بالمجلس القومي للذكر والذاكرين – المجلس يعتني بشئون التصوف في السودان افتتح في نوفمبر 1995م، – وذلك يوم الجمعة الموافق 25 يوليو 2010م، على تمام الساعة الحادية عشرة صباحاً بمقر المجلس الواقع في شارع إفريقيا.

السياسية ويعتبرها شكلا ثانويا وليس رئيسيا، حتى لا يبعده كثيرا عن الهدف الأسمى للصوفية وهو التعلق بالعقيدة الإسلامية وترك كل ما يتعارض معها[1].

ويقول الدكتور عبد الله حسن زروق لا بد من التفريق بين المبدأ والممارسة، فالمبدأ أن السياسة شيء أصيل في الدين الإسلامي، ولا ينفك أحدهما عن الآخر، فيبقى الانشغال بالسياسة عموما واجبا على كل صوفي، أما الممارسة الواقعية يمارسها المتصوف حسب إمكانياته واستطاعته، وفيها أحيانا إيجابيات وسلبيات، لا نستطيع أن نفي بحق الصوفية الدينية والاجتماعية وحتى السياسية، فمنذ أن قدموا للسودان عبر بوابات وبلدان مختلفة والمتصوفة يمارسون النشاط السياسي من خلال فتح الجمعيات الخيرية ومساعدة المحتاجين، ورفع الظلم على المظلومين من الحكام، ولا يحق لنا أن نقول إن الصوفي لا علاقة له بالسياسة"[2].

والتصوف الإسلامي له "تأثير على المناخ السياسي في السودان أعظم من أي مجتمع إسلامي آخر، وهذه ظاهرة عامة في السودان حتى العصور المتأخرة، وقد لا حظ هلسون على سبيل المثال: أن كل مسلم في السودان تقريبا يرتبط بواحدة أو أخرى من هذه الجماعات،

---

1 – مقابلة مع البروفيسور مصطفى عبده محمد. مرجع *سابق*.

2 – مقابلة مع الدكتور عبدالله حسن زروق أستاذ بقسم الفلسفة بجامعة الخرطوم يوم الجمعة 25 يوليو 2010م في تمام الثانية عشرة ظهرا بمكتبه بقسم الفلسفة، وهو صاحب مؤلفات في التصوف الإسلامي والطرق الصوفية في السودان، وله اهتمامات بالطرق الصوفية في السودان، ولا ينتمي لأحدى الطرق الصوفية

وينظر إلى رئيس طريقته كدليل في قضاياه الدينية والدنيوية، وعلى ذلك فإن لهذه الطرق نفوذا عظيما"[1].

والطرق الصوفية كانت ولازالت "واحدة من التجمعات التي لعبت دورا واضحا في الحياة السودانية عامة، والساحة السياسية على وجه الخصوص خاصة الطريقة الميرغنية (الختمية) والطريقة المهدية، ويكفى أن نعلم أن قيادات هاتين الطريقتين قد شكلوا الدعامات الأساسية للحركة السياسية قبل الاستقلال وخلال نيله، وشكلوا المرجعية السياسية للأحزاب التي حكمت في كل فترات الحكم الوطني القائم على الانتخابات الديمقراطية، كما شكلوا السند للحكومات القائمة على الانقلابات العسكرية ودعموا حركات المعارضة والمقاومة لهذه الحركات نفسها، وما يزال لرموز الجماعتين المعاصرتين دور واضح في الحياة السياسية السودانية"[2].

إن دخول أهل التصوف للسياسة هو تصحيح لمسار السياسة على نهج الإسلام الصوفي، ويرى الكثير أنه لا يوجد تعارض بينهما في حال رغب المتصوف في العمل السياسي بإخلاص وإتقان واضعا نصب عينيه مراقبة الله تعالى، وذلك اتباعا لسيد الخلق نبينا محمد صلي الله عليه وسلم، الذي مارس السياسة إلى جانب نشر الدعوة الإسلامية، وأول عمل

1 – ظاهر جاسم محمد. مرجع *سابق*. ص 17.

2 – حنان أحمد مكاوي سليمان. مرجع *سابق*. ص199.

عمله لدى وصوله المدينة هو بناء المسجد، الذي أدار منه الشئون السياسية والدينية والعسكرية وغيرها من أمور المسلمين.

نستخلص من دراسة هذا الفصل أن الطرق الصوفية في السودان كانت رائدة في نشر تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي، فانطلقوا إلى جميع أقاليم السودان رغم الصعوبات الطبيعية التي واجهتهم، لكنها لم تقف عائقا أمام وصولهم للمناطق التي قصدوها، وهناك العديد من المناطق في السودان سميت بأسماء مشايخ الصوفية الذين كانوا أول من استوطن فيها. من جانب آخر فقد ساهم التصوف الإسلامي، بشكل مباشر، في بناء الشخصية الإسلامية السودانية، فالإسلام الصوفي هو الذي يسود مناطق السودان اليوم، وتميل إليه أغلب شرائح المجتمع لما فيه من تسامح وبساطة في منهجه، كما أن الصوفية هم من حملوا راية نشر العقيدة الإسلامية.

أما بشأن دخول المتصوفة في السودان فاختلفت الآراء حول تحديد فترة زمنية معينة، فالبعض يعتقد أن مجيئ مشايخ الطرق الصوفية ارتبط بدخول الإسلام للسودان، فلقد استقبلت المنطقة نزوح الكثير من الزهاد والمشايخ والعلماء الذين جاءوا من مصر والحجاز وبلاد المغرب العربي، لنشر العقيدة الإسلامية وتعليم الناس أمور الدين في المناطق التي دخلها الإسلام. وهناك من يرى أن المتصوفة جاءوا بعد قيام دولة الفونج الإسلامية، حيث اهتم حكامها بالبعد الديني لدولتهم ففسحت المجال أمام العلماء والمشايخ للنزول في السودان،

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وأوفدت العديد من الطلاب للدراسة بالأزهر الشريف والحجاز، وتخرج منهم المئات وعادوا للسودان حاملين الفكر الصوفي لينشروه بين أهلهم.

لقد أسهمت الصوفية، من خلال منهجها الوسطي المعتدل، في الحفاظ على نشر الدين الإسلامي الصحيح بعيداً عن التعصب والتشدد، فكان هذا ما جذب إليها الناس، فوجدت قبولا ساعد على انتشار الفكر الصوفي في جميع ربوع السودان. حتى أصبحت مراكز الصوفية مقرا دينيا واجتماعيا وسياسيا، لكل الناس دون فرق بين جنس أو عرق أو قبيلة.

ولقد تعددت الطرق الصوفية في السودان لتتجاوز الأربعين طريقة موزعة على مختلف أقاليمه، فنجد طريقة واحدة انشطرت إلى العديد من البيوتات وأصبح كل منهم مستقلا عن الاخر، مع غياب قيادة مركزية لكثير من الطرق، أو التنسيق مع بعضهم في الأمور الاستراتيجية التى تخص سياسة الدولة أو الطرق الصوفية نفسها، فهناك من يرجح أن سبب انقسام الطرق الصوفية إلى العديد من البيوتات، مع الصعوبة في الالتقاء تحت قيادة صوفية واحدة، يعود إلى التنافس بين الخلفاء على قيادة الطريقة، وأما ما يحدث بين أبناء الشيخ فكل منهم ينتقل إلى قرية أو منطقة ويعلن تشكيل طريقة مستقلة خاصة به، أو بين خلفاء الشيخ فالكل يرى في نفسه الحق في زعامة الطريقة وهو خليفة الشيخ، لكن هذا السبب مرفوض من أغلب قيادات الطرق الصوفية حيث يرون أن انشطار الطرق الصوفية الرئيسية يرجع إلى عدد من الفروع، مسألة طبيعية ولا علاقة لها بالتنافس على القيادة، فالشيخ هو الذي يعطي الأذن

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بتأسيس الطريقة، فهناك الكثير من الطرق الصوفية التي تفرعت وانقسمت إلى عدة فروع مستقلة، حيث أصابها مرض الانقسام السياسي المستشري بين الأحزاب السياسية السودانية، كالقادرية والسمانية وغيرها، وفى المقابل هناك بعض الطرق الصوفية التي لازالت تحت قيادة واحدة كالختمية بزعامة السيد محمد عثمان الميرغني والأنصار بزعامة الصادق المهدي.

وبشأن ممارسة الطرق الصوفية في السودان للعمل السياسي، فرغم الاختلافات بين المؤيدين والمعارضين، فالرأي المؤيد هو الأرجح، ومبرراته تتمحور حول أن منهج الطرق الصوفية، المتميز بالوسطية والاعتدال، يؤهلهم للإسهام في المجال السياسي، وذلك اقتداءا بالنهج النبوي، واهتداءا بالشرع المستند إلى القرآن والسنة. وبذلك يحققون العدل والمساواة بين الناس. وعليه فإنه لا يوجد تعارض بين الجانب الروحي الصوفي والجانب السياسي. أما المعارضون فيرون أن ممارسة الطرق الصوفية للسياسة تعتبر خروجا عن منهج التصوف الداعي إلى الزهد في السلطة، فإن ذلك مدعاة لتشويه التصوف وأهله. أما الفريق الثالث وهم المحايدون، فلا يرون بأساً من ممارسة الصوفي للسياسة، ولكن بشرط الإلتزام بالنهج الصوفي المبني على العقيدة الإسلامية، والذي يحث على الصدق والأخلاق، والابتعاد عن الظلم، ويسعى لتحقيق العدل.

فالعمل السياسي لأهل التصوف في السودان ليس بجديد وإنما تمتد جذوره لعهود ترجع إلى دخول الطرق الصوفية للبلاد، فهم من شكل الخارطة السياسية للسودان، وأول

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

صراع سياسي حدث بين الختمية والأنصار وهما من أكبر الطرق الصوفية، إضافة إلى بقية قيادات الطرق الصوفية من الذين انضموا لأحد الاطراف، أو غيرها، فالانتخابات التي تجري في السودان تشكل ساحة لتنافس الأحزاب في سبيل كسب أتباع الطرق الصوفية، وذلك للقاعدة الجماهيرية التي تستند إليها الطرق الصوفية.

هذا فضلا عن الصراعات شهدها السودان في فترة تاريخية متباعدة، كان وقودها أهل التصوف، فنذكر الانتقامات التي حصلت في عهد الثورة المهدية من بعض الطرق التي رفضت الانصياع للمهدي، وانتقام البيت الختمي بعد ذلك من الطرق التي ناصرت المهدية كالمجاذيب.

لقد أجرى الباحث عدة لقاءات مع عدد من مشايخ الطرق الصوفية، فالكثير منهم يرفضون رفضا قاطعا، الحديث عن الشأن السياسي ويعتبرونه أمرا لا يخص أهل التصوف، بل يرفضون حتى اللقاءات التي تتحدث عن عملهم السياسي، إلا أنه يلاحظ أن دور أهل التصوف لا يقتصر على الجانب الديني بل يتعداه إلى العمل السياسي والاجتماعي، فالشيوخ يلعبون دوراً كبيراً لا يمكن تجاهله في تحقيق الاستقرار في السودان، بل لهم هامش للحركة السياسية وخاصة في فترة الانتخابات، ويعملون أسوة برؤساء الأحزاب بالليالي السياسية وشرح للمريدين الموقف السياسي للطريقة، وتوجيههم لصناديق الانتخابات للمرشح الذي يرى فيه شيخ الطريقة أنه هو الأفضل، وهذا الموقف سائد في أغلب الطرق الصوفية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وبعض شيوخ الصوفية يرى أن دورهم في الحراك السياسي ليس ممارسة سياسية وإنما نتيجة للموقف الوطني الذي يتطلب وقفة جادة من كل الفعاليات السياسية والاجتماعية، وهم محل تقدير واحترام من جميع فئات الوسط الشعبي السوداني، فلذلك هم مؤهلون للعب هذا الدور الوطني.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA